إدواردو غليانو

أبنــاء الأيــام

رواية

ترجمة : صالح علماني



إدواردو غليانـو

أبنـاء الأيـام

رواية

ترجمة: صالح علمانـي



أبنـــاء الأيـــام

■ إدواردو غاليانو
■ أبناء الأيام
■ الطبعة الأولى 2013
■ الإخراج الضوئي: هالا خليل
■ الناشر: دال للنشر والتوزيع
سورية - دمشق - ص.ب: 29170
هاتف: 464830 944 00963
البريد الإلكتروني: n_hammdan@yahoo.com

العنوان الأصلي للكتاب

Eduardo Galeano 2012

Los hijos de los días



وانطلقت الأيام ماشية،

وهي، الأيام، من صنعتنا،

هكذا رحنا نولد،

نحن أبناء الأيام،

المتقصين،

الباحثين عن الحياة.

(سفر التكوين، بحسب شعب المايا)

كانون الثاني/ ينايـر

1 كانون الثاني

اليـــوم

ليس هذا اليوم هو أول يوم في السـنة عنـد المايـا واليهـود والعـرب والصينيين وآخرين كثيرين من سكان هذا العالم.

تحديد هذا اليوم اخترعته روما، روما الإمبراطورية، ثم باركته روما الفاتيكان، ويبدو من المبالغـة القـول إن البشـرية بأسـرها تحتفـل بهـذا التجاوز لحدود الأعوام.

ولكن أجل، لا بد من الاعتراف: الزمن شديد اللطف معنا، نحـن الرحالة العابرين فيه عبوراً سريعاً، وهو يمنحنـا الإذن بـأن نعتقـد أنـه يمكن لهذا اليوم أن يكون الأول بين الأيام، وكي نعتقد أنـه يـوم بهـيج مثل ألوان محل خضار وفاكهة.

2 كانون الثاني

من النار إلى النار

في هـذا اليـوم مـن العـام 1492 سـقطت غرناطـة، وسـقطت معهـا إسبانيا المسلمة.

إنه انتصار محاكم التفتيش المقدسة. فغرناطة هي آخر مملكة إسبانية كان يمكن فيها للمساجد والكنائس والكنس أن تتجاور.

في العام نفسه بدأ غزو أمريكا، حين كانت أمريكا لا تزال سراً غامضاً بلا اسم بعد.

وفي السنوات التالية، في محارق متباعدة، أحرقت النارُ نفسها الكتبَ الإسلامية والعبرية وكتب سكان أمريكا الأصليين.

فالنار هي مستقر كلام ولد في الجحيم.

3 كانون الثاني

الذاكرة الجوالة

في اليوم الثالث من العام 47 قبل المسيح، احترقت أشهر مكتبة في الأزمنة القديمة.

الجيوش الرومانية غزت مصر، وخلال إحدى معارك يوليوس قيصر ضد شقيق كليوباترا، التهمت النيران القسم الأكبر من آلاف وآلاف لفائف البردي في مكتبة الإسكندرية.

بعد ألفيتين من ذلك غزت جيوش الولايات المتحدة العراق، وخلال حرب جورج دبليو بوش الصليبية ضد العدو الذي اخترعه هو نفسه، تحول إلى رماد القسمُ الأكبر من آلاف وآلاف كتب مكتبة بغداد.

في تاريخ البشرية كله، كان للكتب ملجأ آمن واحد فقط من خطر الحروب والحرائق: المكتبة الجوالة التي كانت فكرة خطرت لوزير بلاد فارس الأكبر، عبد القاسم إسماعيل، في أواخر القرن العاشر.

إنه رجل حذر. فذلك الرحالة الذي لا يمل السفر كان يحمل مكتبته معه. أربعمئة جمل تحمل مئة وسبعة عشر ألف كتاب، في قافلة تمتد كيلومترين طولاً. وكانت الجِمال تُستخدم كذلك فهرساً للكتب: كل مجموعة من الجمال تحمل العناوين التي تبدأ بواحد من حروف الأبجدية الفارسية الاثنين والثلاثين.

4 كانون الثاني

أرض تدعو

اليوم، في العام 1643، ولد إسحاق نيوتن.

ومن أجل العلم بالأمر، لم يكن لنيوتن قطّ أي عاشقين أو عاشقات.

مات بكراً، لم يمسه أحد، ومرعوباً من رعب عدوى الأمراض ومن الأشباح.

لكن هذا السيد الرعديد كان يتمتع بجرأة اختراع وكشف:

حركة الكواكب،

تركيب الضوء،

سرعة الصوت،

توصيل الحرارة

وقانون الجاذبية، قوة الأرض الجاذبة التي لا تُقاوم والتي تدعونا وتذكرنا وهي تدعونا بأصلنا ومصيرنا.

5 كانون الثاني

ارض تقـول

حلم جورج كارفن بالرب.

- *اطلب مني ما تشاء* ـ قال له الرب.

جورج، وهو ابن عبيد، كرّس حياته من أجل انبعاث الأرض التي اغتالتها زراعات العبودية.

وفي مختبره الذي يبدو أشبه بمطبخ خيميائي، حضّر مئات المنتجات المشتقة من الفول السوداني والبطاطا الحلوة: زيت، جبن، زبد، صلصا، مايونيز، صابون، مُلَوِّنات، أصبغة، دبس، صمغ، بودرة...

- *النباتات تقول ذلك كله* ـ كان يوضح ـ *وهي تقدمه لمن يحسن الاستماع إليها*.

عندما مات، في هذا اليوم من عام 1943، كان عمره أكثر من ثمانين عاماً وكان لا يزال يبث الوصفات والنصائح، ويعطي دروساً في جامعة نادرة الغرابة: أول جامعة في ألاباما تقبل طلاباً زنوجاً.

6 كانون الثاني

ارض تنتظـر

في العام 2009، أعادت تركيا الجنسية التي أنكرتها على ناظم حكمت واعترفت، أخيراً، بأن شاعرها المحبوب والمكروه أكثر من الجميع، كان تركياً.

لم يستطع هو نفسه أن يعلم بالخبر الطيب: لأنه كان قد مات قبل

نصف قرن في المنفى، حيث أمضى الشطر الأكبر من حياته.

أرض موطنه كانت تنتظره، لكن كتبه كانت محظورة فيها، وهو نفسه أيضاً.

المنفي كان يريد العودة:

مازالت لدي أشياء افعلها.

اجتمعت مع النجوم، لكنني لم استطع ان احصيها.

اخرجتُ ماءً من البئر، لكنني لم استطع تقديمها.

ولم يرجع قطّ.

7 كانون الثاني

الحفيـدة

كـان مـن عـادة سـوليداد، حفيـدة رافائيـل باريـت، تـذكر جملـة لجدِّها:

- *إذا لم يكن الخير موجوداً، يجب اختراعه.*

ورافائيل باراغوائي بالاختيار، وثوري بالميـل الطبيعـي، أمضـى في السجن وقتاً أطول مما أمضاه في البيت، ومات في المنفى.

حفيدته اخترقتها رصاصات في البرازيل، في هذا اليوم من عام 1973.

العريف أنسيلمو، بحار متمرد، وقائد ثوري، هو من سلَّمَها.

ملَّ من كونه خاسراً، وندم على كـل مـا آمـن بـه وأحبَّـه، فوشـى برفاقه في النضال ضد الدكتاتورية العسكرية البرازيلية، وشى بهم واحداً واحداً، وأرسلهم إلى التعذيب أو المسلخ.

أما سوليداد، زوجته، فأبقاها حتى النهـاية.

العريف أنسيلمو أشار إلى المكان الذي كانت تختبئ فيه، وابتعد. وكان قد صار في المطار حين دوت أولى الطلقات.

8 كانون الثاني

لا أقــول وداعــاً

في العام 1872، وبأمر من رئيس الإكوادور، جرى إعدام مانويلا ليون رمياً بالرصاص.

في الحكم عليها، أطلق الرئيس على مانويلا اسم «مانويل»، كيلا يترك دليلاً على أن سيداً مثله قد أرسل امرأة إلى جدار الإعدام، حتى لو كانت هندية جلفة.

كانت مانويلا قد هيجت أراضي وقرى، وقادت الهنود للتمرد ضد دفع الضرائب والعمل العبودي. وإذا كان هذا كله قليلاً، فقد أقدمت على وقاحة تحدي النقيب باييخو للمبارزة، وهو أحد ضباط الحكومة، أمام أعين جنوده المذهولين. وفي ميدان المبارزة أهين سيفه برمحها.

حين جاء يومها الأخير، في هذا اليوم، واجهت مانويلا فصيلة الإعدام دون عصابة على عينيها. وعندما سُئلت إن كان لديها ما تقوله، أجابت، بلغتها الهندية:

– *مانابي.*

(لا شيء).

9 كانون الثاني

مديح الإيجاز

في هذا اليوم، عام 1776، طُبعت في فيلادلفيا الطبعة الأولى من *الحس السليم*.

يؤكد توماس باين، مؤلف الكتاب، أن الاستقلال كان مسألة حس سليم ضد الإذلال الاستعماري والملكية الوراثية المضحكة التي يمكن لها أن تتوج أسداً أو حماراً دون أي تمييز.

هذا الكتاب المؤلف من ثمان وأربعين صفحة انتشر أكثر من الماء والهواء، وكان أحد آباء استقلال الولايات المتحدة.

في العام 1848، كتب كارل ماركس وفريدريك إنجلز صفحات *البيان الشيوعي* الثلاث والعشرين الذي يبدأ بالتحذير: *شبح يخيم على أوروبا*... فكان هذا العمل هو الأكبر تأثيراً في ثورات القرن العشرين.

وست وعشرون صفحة هو مجموع صفحات الدعوة إلى الاستنكار التي وزعها ستيفان هيسيل في العام 2011. هذه الكلمات القليلة ساعدت على حدوث زلزال احتجاجات في مدن عديدة. آلاف المستنكرين اجتاحوا الشوارع والساحات، لأيام وليال طويلة، ضد دكتاتورية المصرفيين والحربيين الكونية.

10 كانون الثاني

أبعاد

السيارة تمضي وهي تعطس.

ومع اهتزاز تعثرها، كان الموسيقيون محشورين بداخلها. إنهم

ذاهبون لبعث السعادة في اجتماع للفلاحين، ولكنهم يمضون منذ وقت طويل ضائعين في دروب سنتياغو دل إيستيرو الملتهبة.

لم يجد الضائعون من يسألونه. ليس هنالك أحد، لم يبق أحد في تلك القفار التي كانت غابات.

وفجأة ظهرت سحابة غبار، طفلة تركب دراجة.

- *كم بقي للوصول؟* ـ سألوها.

فقالت:

- *ما بقي أقل.*

وغابت في الغبار.

11 كانون الثاني

متعة الذهاب

في العام 1887 ولد، في سالتا، الرجل الذي كان قفزة: خوان كارلوس دافالوس، مؤسس سلالة موسيقيين وشعراء.

وحسب ما تقوله الأقوال، كان أول ملاح لسيارة فورد T في تلك الأنحاء من شمالي الأرجنتين.

عبر الدروب تأتي سيارته الفورد T، مزمجرة ومدخنة.

بطيئة تأتي. السلاحف تجلس بانتظارها.

أقترب منه أحد الجيران. حياه بقلق، وعلق:

- *ولكن يا دون دافالوس... بهذا البطء لن تصل أبداً.*

فأوضح خوان له:

- أنا لستُ ذاهباً كي أصل. إنني أذهب من أجل الذهاب.

12 كانون الثاني

تعجل الوصول

في صباح هذا اليوم من عام 2007، قدّم عازف كمانٍ حفلة كونشرتو في إحدى محطات مترو مدينة واشنطن.

مستنداً إلى جدار بجانب حاوية قمامة، عزف الموسيقي الذي يبدو كأحد فتيان الأحياء لمدة ثلاثة أرباع الساعة.

ألف ومئة شخص مروا دون أن يخففوا مشيهم المتعجل. سبعة توقفوا أكثر من هنيهة. لم يصفق أحد. هنالك أطفال رغبوا في التوقف، لكن أمهاتهم جَررنهم.

لم يعرف أحد أن العازف هو جوشوا بيل، أحد أبرع العازفين وأشدهم تقديراً في العالم.

صحيفة *الواشنطن بوست* هي من نظمت ذلك الكونشرتو. وكانت تلك طريقتها في السؤال:

- *هل لديك وقت للجمال.*

13 كانون الثاني

ارض تجار

في العام 2010، ابتلع زلزالٌ قسماً لا بأس به من هايتي وخلّف أكثر من مئتي ألف قتيل.

في اليوم التالي، قام بات روبرتسون، واعظ تلفزيوني أنجليكاني، بتوضيح الأمر من الولايات المتحدة: كشف راعي الأرواح ذاك أن الزنوج

الهايتيين مذنبون بحريتهم. وأن الشيطان الذي حررهم من فرنسا، يتقاضى منهم الحساب الآن.

14 كانون الثاني

اللعنة الهايتية

زلزال هايتي توج مأساة طويلة لبلاد بلا ظل وبلا ماء، دمرها الجشع الاستعماري والحرب ضد العبودية.

السادة المخلوعون عن عروشهم يفسرون الأمر بطريقة أخرى: السبب في التعاسات كلها كان ولا يزال هو «الفودو». لأن الفودو لا تستحق أن تُسمى ديانة. فهي ليست سوى شعوذات آتية من أفريقية، وسحر أسود، وأمور زنوج، وشيء من الشيطان.

الكنيسة الكاثوليكية التي لا يعدم فيها وجود مؤمنين لا يتورعون عن بيع أظفار قديسين وريش من جناح الملاك جبرائيل، تمكنت من التوصل إلى اعتبار تلك الشعوذات محظورة قانونياً في هايتي، في العام 1845، ثم 1860، و1896، و1915، 1942.

وفي الأزمنة الأخيرة صارت المعركة ضد الشعوذة من مسؤولية الطوائف الأنجليكانية. وهذه الطوائف تأتي من بلاد بات روبرتسون نفسها، وهي بلاد لا طابق 13 في عماراتها، ولا صف مقاعد 13 في طائراتها، وحيث أكثرية المسيحيين المتحضرين ممن يؤمنون بأن العالم جرى صنعه على يد الرب خلال أسبوع.

15 كانون الثاني
الحـــذاء

في العام 1919، جرى اغتيال الثورية روزا لوكسمبورغ في برلين .القتلة هشموا عظامها بأعقاب البنادق وألقوا بها في مياه قناة. وخلال الطريق ضاعت فردة من حذائها. يدٌ ما التقطت فردة الحذاء تلك الملقاة في الوحل.

لقد عاشت روزا حياتها كلها وهي تناضل من أجل عالم لا يُضحى فيه بالعدالة باسم الحرية، ولا يضحى بالحرية باسم العدالة. في كل يوم، تلتقطُ يدٌ تلك الراية الملقاة في الوحل... كحذاء.

16 كانون الثاني
القانون المبلول

في هذا اليوم من عام 1920، أقر مجلس شيوخ الولايات المتحدة قانون منع الكحول المعروف بـ قانون الجفاف.

وهكذا تأكد، مرة أخرى، أن المنع هو أفضل طريقة للترويج: بفضل قانون الجفاف، ازدهرت صناعة الخمور المحظورة واستهلاكها، وقام آل كابوني وجماعته بالقتل وتحقيق الأرباح أكثر من أي وقت آخر.

في العام 1933، اعترف الجنرال سميدلي باتلر الذي قاد *ماريينز* الولايات المتحدة على امتداد ستة عشر وساماً، بأن نجاحات آل كابوني في شيكاغو كانت مصدر إلهام لشبانه في ثلاث قارات.

17 كانون الثاني

الرجل الذي أَعدَمَ الربّ رمياً بالرصاص

في العام 1918، في موسكو، وفي أوج الهياج الثوري. ترأس أنتـولي لوناتشارسكي المحكمة التي حاكمت الرب.

أجلس كتاب مقدس على مقعد المتهمين.

وحسب رأي المدعي العام، كان الرب قد اقترف، على امتداد التاريخ، الكثير من الجرائم بحق الإنسانية. المحامي الذي مثّل الدفاع تذرع بأن الرب فاقد للأهلية، لأنه يعاني مـن خَـرَفٍ شـيخوخيٍ شـديد؛ ولكـن المحكمـة حكمت عليه بالموت.

في فجر هذا اليوم، وُجهت خمس زخات من رصاص الرشاشات نحو السماء.

18كانون الثاني

مــاء مقدس

في أزمنة محاكم التفتيش المقدسة، كان يُشتبه بـأن الإسـبان الـذين يستحمون هم هراطقة مسلمون.

فمن محمد جاء تقديس الماء.

محمـد ولـد في الصـحراء، في حـوالي العـام 570، وفي الصـحراء، مملكة العطش، أسس ديانة أتباع الماء.

كان يقـول إن الـرب، وهـو يسـميه الله، قـد أمـره بـأن يقـول: في الطريق إلى الخلاص، لا بد من الصلاة خمـس مـرات في اليـوم، وحـني

الجسد حتى تلامس الذقن الأرض، وقبل كل صلاة يجب التطهر بالماء.
- *النظافة نصف الإيمان* ـ هذا ما كان يقوله.

19 كانون الثاني

معه ولد عصر جديد

في العام 1736، ولد الاسكتلندي جيمس واط.
يقال إنه لم يكن مخترع الآلة البخارية، ولكنه هو على كل حال من عرف كيف يطوّرها، دون ادعاءات كبيرة، وفي ورشة متواضعة أنجب مصدر طاقة الثورة الصناعية.
منذ ذلك الحين، وانطلاقاً من تلك الآلة ولدت آلات أخرى حوّلت الفلاحين إلى عمال، وبإيقاع دواري صار اليوم يتحول إلى أمس، وأُرسل يوم أمس إلى ما قبل التاريخ.

20 كانون الثاني

أفعى مقدسة

في العام 1585، في مؤتمرهم الكنسي الثالث، حظر أساقفة المكسيك رسم أو نحت أفاع على جدران الكنائس أو على ألواح المذابح أو على المذابح نفسها.
في ذلك الحين انتبه مستأصلو عبادة الأوثان أن أدوات الشيطان تلك لا تثير الاشمئزاز ولا الرعب في نفوس الهنود.
الوثنيون يقدسون الأفاعي. فالأفاعي المزدراة في التقاليد التوراتية، منذ مسألة إغواء آدم، كانت في أمريكا أفاعيَ محبوبة. فهذا الحيوان

الزاحف المتلوي هو بشير محاصيل وفيرة، وبرق يجلب المطر، وفي كل غيمة توجد أفعى ماء. والرب كيتسالكواتل الذي ذهب في دروب الماء، كان أفعى مجنحة.

21 كانون الثاني

كانوا يمشون على الماء

في العام 1779، شهد الفاتح الإنكليزي جيمس كوك مشهداً غريباً جداً، في جزيرة هاواي.

لقد كانت تسلية شديدة الخطورة بقدر ما هي عصية على التفسير: على شواطئ كيالاكيكوا كان الوطنيون يستمتعون بالوقوف فوق الأمواج وتركها تقادهم.

هل كان كوك هو المشاهد الأول للرياضة التي نسميها الآن «سورف»؟

ربما كان الأمر أكثر من ذلك. ربما كان هنالك شيء في طقس الأمواج ذاك. فأولئك البدائيون يعتقدون أن الماء، أمُّ الحيوات كلها، كان مقدساً، ولكنهم لا يركعون ولا ينحنون أمام ألوهيته. بل يمشون فوقه، في توافق مع طاقته.

بعد ثلاثة أسابيع من ذلك، طُعن كوك على يد أولئك الماشئين على الماء. فالملاح الكريم الذي أهدى أستراليا للتاج البريطاني، كان راغباً في أن يهدي إليه هايتي أيضاً.

22 كانون الثاني

تنقلات مملكة

في هذا اليوم من شهر يناير عام 1808، وصلت إلى شواطئ البرازيل، بلا خبز ولا ماء، السفن التي كانت قد انطلقت قبل شهرين من لشبونة.

كان نابليون يجوس خريطة أوروبا، وكان قد بدأ باجتياز حدود البرتغال عندما دوى الانفجار: البلاط البرتغالي غَيَّرَ عنوانه، فقد انتقل إلى المنطقة الاستوائية.

الملكة ماريا ترأست عملية الانتقال. وفي أثرها ذهب الأمير ولي العهد والدوقات، والكونتات، والفيسكونتات، والمركيزون والبارونات، ومعهم الشعور المستعارة والزينات الفاخرة التي ورثها كرنفال ريو دي جانييرو في ما بعد. ومن ورائهم، متزاحمين بيأس، جاء أساقفةٌ وقادة عسكريون، ووصيفات، وخياطات، وأطباء، وقضاة، وكُتّابٌ عدول، وحلاقون، وكتبة، وحذاؤون، وبستانيون...

لم يكن رأس الملكة ماريا على ما يرام، كيلا نقول إنها كانت مجنونة تماماً، ولكنها هي من نطقت الجملةَ العاقلة الوحيدة التي سُمعت في مستشفى المجانين ذاك:

– ***لا تتراكضوا بسرعة، وإلا بدا الأمر كما لو أننا هاربون!***

23 كانون الثاني

أمٌ داعية حضارة

في العام 1901، في اليوم التالي الذي تلا زفرة الملكة فيكتوريا

الأخيرة، بدأت في لندن تحضيرات أبهة جنازتها المهيبة.

لم يكن التنظيم سهلاً. فتلك الملكة تستحق ميتة عظيمة، وهي التي منحت اسماً لعصر بكامله وقدمت مثلاً في إنكار الذات النسوية بارتدائها الحداد، طيلة أربعين عاماً، على ذكرى زوجها المتوفى.

فكتوريا، رمز الإمبراطورية البريطانية، سيدة ومليكة القرن التاسع عشر، هي من فرضت الأفيون على الصين، والحياة الفاضلة على أمتها.

وفي مركز إمبراطوريتها كانت إجبارية قراءة الأعمال التي تعلم احترام الأساليب الحميدة. فـ *كتاب الإتيكيت* لليدي غوو، المنشور عام 1863، يعرض بعض وصايا العصر الاجتماعية: يجب أن نتجنب، على سبيل المثال، التقارب الذي لا يُغتفر بين كتب المؤلفين الذكور وكتب المؤلفات النساء على رفوف المكتبات.

ويمكن لتلك الكتب أن تتلاصق فقط إذا كان المؤلف والمؤلفة مرتبطين برابطة الزواج، مثلما هيَ حال روبرت وإليزابيث باريت براوننيغ.

24 كانون الثاني

أبٌ داعية حضارة

في العام 1965، مات وينستون تشرشل.

في عام 1919، عندما كان يترأس المجلس الجوي البريطاني، قدم أحد دروسه المتواترة عن فن الحرب:

لا أستطيع أن أفهم كل هذا التمنع عن استخدام الغازات. إنني مؤيد جداً لاستخدام الغاز السام ضد القبائل غير المتحضرة. سيكون لهذا العمل أثر أخلاقي جيد، وسينشر رعباً دائماً.

في العام 1937، وأمام اللجنة الملكية لفلسطين، قدم واحداً من

دروسه كثيرة التواتر حول تاريخ البشرية:

أنا لا أوافق على أنه قد اقتُرف أي شيء سيئ مع ذوي الجلود الحمراء في أمريكا، ولا الزنوج في أستراليا، حين جاء عرق أقوى، عرق من نوعية أفضل، واحتل أمكنتهم.

25 كانون الثاني

حق الصعلكة

شعب نيكاراغوا يحتفل بالغوينغوينسي، ويضحك معه.

في هذه الأيام، أيام عيده، تتحول الشوارع إلى منصات استعراض حيث يروي هذا الصعلوك ويغني ويرقص، وبنعمته وفضله يتحول الجميع إلى رواة ومغنين وراقصين.

الغوينغوينسي هو أبو مسرح الشارع في أمريكا اللاتينية.

منذ بدء الأزمنة الاستعمارية وهو يأتي ليعلّم فنون المعلم الدساس الداهية:

– ما لا تستطيع كسبه، تعادل فيه. وما لا تستطيع التعادل فيه عَقِّده.

ومنذ ذلك الحين، وقرناً بعد قرن، لم يتوقف الغوينغوينسي عن التظاهر بالجنون، وعن اختراع كلمات لا تعني شيئاً، وعن أن يكون معلِّم شيطنات يحسده الشيطان عليها، ومزيل مهانة المهانين، واللعوب الذي يُلعب به ويتلاعب بالآخرين.

26 كانون الثاني

التأسيس الثاني لبوليفيا

في هذا اليوم من العام 2009، قال الاستفتاء الشعبي نعم للدستور الجديد الذي اقترحه الرئيس إيفو موراليس.

حتى ذلك الحين لم يكن الهنودُ أبناءً لبوليفيا: كانوا يدها العاملة وحسب.

في العام 1825، منح الدستور الأول المواطنة لثلاثةٍ أو أربعة بالمئة فقط من السكان. أما الآخرون من الهنود والنساء والفقراء والأميين، فلم يُدعوا إلى الحفلة.

بالنسبة لكثيرين من الصحفيين الأجانب، بوليفيا بلاد لا يمكن حكمها، لا يمكن فهمها، لا يمكن التعامل معها، غير مرئية. لقد أخطؤوا بـ «غير»: كان عليهم أن يعترفوا أن بوليفيا، بالنسبة إليهم، بلاد غير مرئية. ولا شيء غريب في ذلك. فحتى يومنا هذا، كانت بوليفيا بلاداً عمياء عن نفسها أيضاً.

27 كانون الثاني

كي تسمع العالم

ولد اليوم، من عام 1756، فولفغانغ أماديوس موزارت.

قرون بعد ذلك، حتى الأطفال حديثو الولادة صاروا يحبون الموسيقى التي خلّفها لنا.

لقد ثبت، مرات عديدة وفي أمكنة كثيرة، أن حديثي الولادة يبكون

أقل وينامون بصورة أفضل حين يسمعون موسيقى موزارت.

إنها أفضل ترحيب بهم إلى العالم، وأفضل طريقة للقول لهم:

- هذا هو بيتكم الجديد. وهكذا هو وقعه.

28 كانون الثاني

كي تقرأ العالم

عندما لم تكن المطبعة قد وُجدت بعد، شكل الإمبراطور شارلمان فِرَقَ كتبةٍ نُساخٍ موسعة، حققوا في آخن أفضل مكتبة في العالم.

شارلمان الذي ساعد كثيراً في القراءة، لم يكن يعرف القراءة. وأمياً مات في بدايات العام 814.

29 كانون الثاني

صامتاً أقول

اليوم ولد أنطون تشيخوف، في العام 1860.

كتبَ كمن لا يقول شيئاً.

وقد قال كل شيء.

30 كانون الثاني

المنجنيق

في 1933 جرى تعيين أدولف هتلر مستشاراً لألمانيا. بعد قليل أقام

احتفالاً ضخماً، مثلما يليق بالسيد الجديد وحلم الأمة.

وبتواضع صرخ:

- *إنني أأسس عصر الحقيقة! استيقظي يا ألمانيا! استيقظي!*

الأسهم والألعاب النارية، ونواقيس الكنائس، وأناشيد الحماسة ضخمت الأصداء.

قبل خمس سنوات من ذلك، حصل الحزب النازي على أقل من ثلاثة بالمئة من الأصوات.

قفزة هتلر الأولمبية إلى القمة كانت استعراضية جداً مثل السقوط المتزامن نحو الهاوية للأجور والوظائف والنقد وكل ما سوى ذلك.

ألمانيا التي أصابها الانهيار العام بالجنون، أطلقت حملة ملاحقة ضد المذنبين: اليهود، الحمر، الشاذين جنسياً، الغجر، المتخلفين ذهنياً، ومن لديهم وسواس التفكير كثيراً.

31 كانون الثاني

من رياح نحن

اليوم ولد، في العام 1908، أتاوالبا يوبانكي.

في الحياة كانوا ثلاثة: الجيتار، والحصان، وهو. أو أربعة إذا ما حسبنا الريح معهم.

شــباط / فبرايــر

1 شباط

اميرال مفتت

ولد بلاس دي ليثو في غيبوثكوا، عام 1689.

أميرال الأسطول الإسباني هذا هزم القراصنة الإنكليز على شواطئ البيرو، وأخضع مدينة جنوة القوية، واستسلمت له مدينة وهران الجزائرية، وفي كارتاخينا دي إندياس أذل الأسطول البريطاني، وكان يقاتل بكثير من المكر وقليل من السفن.

في معاركه الاثنتين والعشرين، أطاحت قذيفة مدفع بإحدى ساقيه، وقلعت شظية إحدى عينيه، وخلّفته طلقة بندقية بذراع واحدة.

أطلقوا عليه تسمية *نصف إنسان*.

2 شباط

الربة في الحفلة

في هذا اليوم تقدّم شواطئ الأمريكيتين التكريم لـ «إيمانيا».

في هذه الليلة، الربة الأم للأسماك التي جاءت منذ قرون من أفريقيا في سفن العبيد، تنتصب في الزبد وتفتح ذراعيها. ويحمل البحر إليها أمشاطاً، وفراشي، وعطوراً، وأقراص عجة، وحلويات، وتقدمات أخرى

من البحارة الذين يموتون من أجلها حباً وخوفاً.

أقرباء وأصدقاء إيمانيا يهرعون عادة إلى الحفلة آتين من الأوليمب الأفريقي:

ابنها شانغو الذي يفلت أمطار السماء؛

وأوكسوماريه، قوس قزح، حارس النار؛

وأوغون، الحداد والمحارب، اللعوب وزير النساء؛

وأوشون، العاشقة التي تنام في الأنهار ولا تمحو أبداً ما تكتبه،

وإكسو الذي هو إبليس عوالم الجحيم، وهو كذلك يسوع الناصري.

3 شباط

الكرنفال يفتح جناحيه

في العام 1899 جنّت شوارع ريو دي جانييرو وهي ترقص على أنغام الموسيقى التي افتتحت تاريخ كرنفال ريو.

تلك الموسيقى الشهوانية تدعى *فتح الأجنحة*. إنها اختراعٌ موسيقيٌ برازيليٌ يستهزئ برقصات الصالونات المتخشبة.

مؤلفتها تدعى شيكينها غونزاغا، وكانت مؤلفةً موسيقية منذ الطفولة.

في السادسة عشرة من عمرها زوّجها أبواها، وكان ماركيز كاكسياس اشبين ذلك الزواج.

في العشرين من عمرها، خيّرها الزوج بين بيت الزوجية أو الموسيقى:

- *لستُ أفهم الحياة دون موسيقى* ـ قالت له، وغادرت البيت.

عندئذ أعلن أبوها أن شرف العائلة قد تلطخ، وشكا من أن شيكينها قد ورثت الميل إلى الضياع عن جدة زنجية. واعتبرها ميتة، وحظر أن يُذكر اسم الابنة الضالة في بيته.

4 شباط

التهديد

كان اسمها خوانا آغيلار، ولكنهم كانوا يدعونها خوانا الطويلة، بسبب حجم بظرها الفاضح.

تلقت محكمة التفتيش شكاوى عديدة عن ذلك *الإفراط الإجرامي*، وفي العام 1803 أصدرت محكمة غواتيمالا الملكية الأمر للجراح نرسيسو إسباراغوسا بأن يفحص المتُّهمة.

أصدر عالم التشريح هذا حكمه بأن خوانا *تناقضُ النظام الطبيعي*، وحذَّر من أنه يمكن للبظر أن يكون خطيراً، مثلما هو معروف جيداً في مصر وفي ممالك شرقية أخرى.

5 شباط

بصوتين

ترعرعتا معاً: القيثارة وبيوليتا بارّا.

عندما تنادي إحداهما، تهرع الأخرى إليها.

هي والقيثارة كانتا تضحكان، تبكيان، تتساءلان، تؤمنان.
القيثارة لها ثقب في صدرها.
وهي أيضاً.
في هذا اليوم من عام 1967، نادتها القيثارة ولم تهرع بيوليتا إليها.
لم تعش بعد ذلك اليوم قطّ.

6 شباط

الصرخة

ولد بوب مارلي في الفقر، وسجل أغانيه الأولى وهو ينام على أرضية الأستوديو.

خلال سنوات قصيرة صار ثرياً ومشهوراً ونام على فراش من ريش محتضناً ملكة جمال العالم، وكان معبود الحشود.

ولكنه لم ينسَ قطّ أنه لم يكن هو نفسه فقط.

بصوته كان يغني صمتُ الأزمنة الماضية المدوي، حفلات وغضب العبيد المحاربين الذين سببوا الجنون لأسيادهم، طوال قرنين، في جبال جاميكا.

7 شباط

الصاعقة السابعة

روي سوليفان، حارسُ غاباتٍ في فيرجينيا، ولد في العام 1912، وفي هذا اليوم السابع، وتجاوز حياً سبعَ صواعق خلال سبعين عاماً من حياته:

في 1959، انتزعت صاعقةٌ ظفر أحد أصابع قدمه؛

في 1969، أطاحت صاعقة ثانية بحاجبيه ورموشه؛
في 1970، شوت صاعقة أخرى كتفه اليسرى؛
في 1972، خلّفته صاعقة أخرى بلا شعر؛
في 1973، أحرقت صاعقة أخرى ساقيه؛
في 1976، شقت صاعقة أخرى أحد كاحليه؛
في 1977، فحّمت صاعقة أخرى صدره وبطنه.
ولكن لم تأتِ من السماء الصاعقة التي هشّمت رأسه في العام 1983.
يقولون إنها كانت كلمة، أو صمتاً، من امرأة.
هكذا يقولون.

8 شباط

التقبيل العام

في العام 1981، حدثت في مدينة سوروكابا البرازيلية مظاهرة شعبية فريدة من نوعها.

في أوج الدكتاتورية العسكرية، صدر أمرٌ قضائي يحظر القبلات التي تشكل انتهاكاً للأخلاق العامة. قرار القاضي مانويل موراليس الذي يفرض عقوبة على تلك القبلات يصفها على النحو التالي:

هنالك قبلات لبيدوية مَرَضية، مثل القبلة على العنق، وعلى أعضاء الحياء، الخ...، ومثل القبلة السينمائية التي يختلط فيها لعاب الشفاه في إفاضة حسيّة غير محتشمة.

ردّت المدينة على القرار بتحولها إلى متلازمة تقبل. لم يُقَبِّل أحدٌ بتلك الكثرة قطّ. الحظر ضاعف الرغبات، وهنالك كثيرون أرادوا، بدافع الفضول المجرد، أن يعرفوا ما هو مذاق القبلة غير المحتشمة.

9 شــباط

مرمر يتنفس

أفروديت هي أول امرأة عارية في تاريخ النحت الإغريقي.

نحتها براكسيتليس بعباءة منزلقة عند قدميها، فطالبته مدينة كوس بأن يُلبسها. ولكن مدينة أخرى، كنيدو، رحبت بها وقدمت لها معبداً، وفي كنيدو عاشت الربة الأكثر امرأة بين الربات، والأكثر ربوبية بين النساء.

وعلى الرغم من أنها كانت محبوسة ومحروسة، لم يكن بمقدور الحراس منع غزو المجنونين بها.

في يوم مثل هذا اليوم، ملّت أفروديت من كثرة الحراسة، وهربت.

10 شــباط

انتصار للحضــارة

حدث ذلك شمالي نهر أوروغواي. سبع بعثات تبشيرية للكهنة الجزويت قُدمت هدية من ملك إسبانيا إلى حميه ملك البرتغال. وكانت الهدية تتضمن الثلاثين ألف هندي غواراني الذين كانوا يعيشون هناك.

رفض هنود الغواراني الانصياع، والكهنة الجزويت الذين اتُهموا بالتواطؤ مع الهنود أُعيدوا إلى أوروبا.

في هذا اليوم من عام 1756، على هضاب كايبواتيه، تم إلحاق الهزيمة بمقاومة السكان الأصليين.

انتصر جيش إسبانيا والبرتغال، أكثر من أربعة آلاف جندي ترافقهم خيول ومدافع وأعدادٌ من لصوص الأراضي وصيادي العبيد.

الحصيلة النهائية، حسب المعطيات الرسمية:

قتلى السكان الأصليين، 1723.

قتلى إسبان، 3.

قتلى برتغاليون، 1.

11 شباط

لا

بينما كان العام 1962 يولد، قامت فرقة موسيقية، مؤلفة من جيتارين، وجيتار خفيض، وآلة نقر، بتسجيل اسطوانتها الأولى في لندن.

رجع الفتيان إلى ليفربول وجلسوا ينتظرون.

كانوا يعدّون الساعات، يعدون الأيام.

وعندما لم تبق لهم أظفار يقضمونها، في يوم مثل هذا اليوم، تلقوا الردّ. شركة ديكا ريكوردنغ كومباني قالت لهم بكل صراحة:

– *فرق الجيتارات آخذة بالاختفاء والتلاشي.*

البيتلز لم ينتحروا.

12 شباط

يوم الرضاعة من الأم

تحت السقف المتموج لمحطة تشينغدو، في سيشوان، مئات الشابات الصينيات يبتسمن للصورة.

جميعهن يزدهين بأثواب متماثلة جديدة.

جميعهن شعورهن مسرحة للتو، وجميعهن مغتسلات ومكويات.

جميعهن أنجبن مواليدهن للتو.

ينتظرن القطار الذي سيقلهن إلى بكين.

وفي بكين، جميعهن سيُرضعن أطفالَ أخريات.

أولئك البقرات الحلابات سيتلقين أجوراً جيدة وتغذية جيدة.

وفي أثناء ذلك، بعيداً عن بكين، في قرى سيشوان، سيرضعُ أبناؤهن حليبَ مسحوق مذاب.

جميعهن يقلن إنهنّ يفعلن ذلك من أجل صغارهن، كي يوفرن لهم تعليماً جيداً.

13 شباط

خطر اللعب

في العام 2008، بينما كان ميغيل لوبيث روتشا يتقافز في ضواحي مدينة غوادالاخارا المكسيكية، انزلق وسقط في نهر سنتياغو.

كان عمر ميغيل ثمانية أعوام.

لم يمت غرقاً.

مات مسمماً.

ففي النهر زرنيخ، وحمض كلور ماء، وزئبق، وكروم، ورصاص، تُلقيها في مياهه شركات أفينتس، وباير، ونستله، وآي. ب. ام، ودوبونت، وشيروش، ويونايتد بلاستك، وسيلانيس، وشركات أخرى يحظر عليها في بلدانها تقديم تلك الهبات.

14 شباط

أطفال مسروقون

أبناء الأعداء كانوا غنيمة حرب للدكتاتورية العسكرية الأرجنتينية التي سرقت أكثر من خمسمئة طفل من حديثي الولادة.

ولكن عدداً أكبر من الأطفال سرقتهم، خلال زمن أطول بكثير، الديمقراطية الأسترالية، بإذن من القانون وتصفيق من الجمهور.

في العام 2008، تقدم الوزير الأول الاسترالي، كيفن رود، باعتذار إلى السكان الأصليين الذين انتزع منهم أبناؤهم خلال أكثر من قرن.

كانت الوكالات الحكومية والكنائس المسيحية قد اختطفت الأطفال ووزعتهم على عائلات بيضاء، من أجل إنقاذهم من الفقر والانحراف، ومن أجل تحضيرهم وإبعادهم عن العادات الهمجية.

من أجل تبيض الزنوج، هذا ما كانوا يقولونه.

15 شباط

أطفال آخرون مسروقون

- *الماركسية هي أقصى حالات المرض الذهني* ـــ هذا ما أقره الكولونيل أنطونيو بابيخو ناخيرا، المحلل النفسي الأعلى في إسبانيا الجنراليسمو فرانثيسكو فرانكو.

فهو درس، في السجون، الأمهات الجمهوريات، وتأكد له أن لديهن *غرائز إجرامية*.

ومن أجل حماية نقاء العرق الإيبيري، المهدد بالانحطاط الماركسي والإجرام الأمومي، جرى اختطاف آلاف الأطفال حديثي الولادة أو

صغار السن، أبناء آباء جمهوريين، وألقي بهم إلى أنزع عـائلات ورعـة مخلصة للصليب والسيف.

من كان أولئك الأطفال؟ من هم، بعد كل هذه السنوات؟

غير معروف.

الدكتاتورية الفرانكوية اختلقتْ وثائقَ مزورة، محت آثارهم، وأملت أمر النسيان: لقد سرقت الأطفال وسرقت الذاكرة.

16 شـباط

الخطة «كونـدور»

ماكارينا خيلمان واحدة مـن ضـحايا «الخطـة كونـدور» الكـثيرين، والخطة كوندور هي تسمية سوق الرعب المشتركة التي ربطـت مفاصـلها الدكتاتوريات العسكرية الأمريكية الجنوبية.

كانت أمُّ ماكارينا حـاملاً بها حين أرسلها العسكريون الأرجنتينيون إلى أوروغواي. تولت دكتاتوريـة الأوروغـواي عمليـة الـولادة، فقتلـت الأم وأهدت الابنة حديثة الولادة إلى أحد قادة الشرطة.

خلال طفولتها كلها كانت ماكارينا تنام معذبـة بكـابوس لا تفسـير له، يتكرر ليلة إثـر ليلـة: يطاردهـا رجـالٌ مسـلحون حتـى الأسـنان، فتستيقظ باكية.

الكابوس لم يعدْ بلا تفسير حين اكتشـفت ماكارينـا قصـة حياتهـا الحقيقية. وعرفت عندئذ أنها كانت تحلم، في طفولتها، برعـب أمهـا: أمهـا الـتي كانـت تُشـكِّلها في بطنهـا بينمـا هـي تهـرب مـن المطـاردة العسكرية التي أمسكت بها أخيراً وأرسلتها إلى الموت.

17 شباط

حفلة لم تتحقق

عمال حقول باتاغونيا الأرجنتينية أعلنوا الإضراب ضد الأجور الضئيلة جداً وأيام العمل الطويلة جداً، وتولى الجيش فرض النظام.

ممارسة الإعدام رمياً بالرصاص عملٌ متعب. في ليلة هذا اليوم من عام 1922، ذهب الجنود المرهقون، لكثرة من قتلوهم، إلى ماخور بويرتو سان خوليان كي يتلقوا ما يستحقونه من مكافأة.

لكن النساء الخمس اللاتي يشتغلن هناك أغلقن الباب في وجوههم وطردوهم صارخات: *قتلة، قتلة، انصرفوا من هنا...*

أوسبالدو بايير حفظ أسماءهن. كنّ يسمين: كونسويلو غارسيا، وأنخيلا فورتوناتو، وآماليا رودريغيث، وماريا خولياتشي، وماود فوستر.

العاهرات. الشريفات.

18 شباط

وحيداً منه

حين علم مايكل أنجلو بموت فرانسيسكو الذي كان مساعده، وأكثر من مساعده بكثير، حطم بمطرقة تمثال الرخام الذي كان ينحته.

بعد قليل من ذلك، كتب عن تلك الميتة: لقد كانت نعمة من الله، ولكنها بالنسبة إليّ كانت ضرراً جسيماً وألماً لامتناهياً. النعمة هي في أن فرانسيسكو، من كان يبقيني حياً، علمني بموته أن أموت دون حزن. ولكنني امتلكته طوال خمسة وعشرين عاماً... والآن لم يبق لي شيء

سوى بؤس لامتناهٍ. الجزء الأعظم مني ذهب معه.

رفات مايكل أنجلو ترقد في فلورنسا، في كنيسة سانتا كروز.

هو ورفيقه الحميم اعتادا الجلوس على أدراج تلك الكنيسة للاستمتاع بمنافسات يخوضها في الساحة الفسيحة، بالركل وضرب الكرات، اللاعبون في اللعبة التي صارت تسمى اليوم كرة قدم.

19 شباط

ربما كان يمكن للكاتب هوراسيو كيروغا أن يروي موته على هذا النحو:

اليوم متُّ.

في العام 1937، عرفتُ أنني مصاب بسرطان عضال لا شفاء منه.

وعرفتُ أن الموت الذي يلاحقني منذ الأزل قد وجدني.

واجهتُ الموت وجهاً لوجه، وقلت له:

- *لقد انتهت هذه الحرب.*

وقلتُ له:

- *أنت المنتصر.*

وقلتُ له:

- *ولكن التوقيت لي.*

وقبل أن يميتني الموت، أمتُّ نفسي.

20 شباط

يوم العدالة الاجتماعية

في أواخر القرن التاسع عشر، كان خوان بيو أكوستا يعيش على حدود الأوروغواي مع البرازيل.

وكان عمله يفرض عليه التنقل من قرية إلى قرية في تلك المناطق المقفرة.

كان يسافر في عربة تجرها خيول، مع ثمانية مسافرين في الدرجة الأولى والثانية والثالثة.

خوان بيو كان يشتري على الدوام تذكرة درجة ثالثة، وهي الأرخص ثمناً.

لم يفهم قطّ لماذا توجد أسعار مختلفة. فالجميع يسافرون معاً، من يدفعون أكثر ومن يدفعون أقل: يسافرون محشورين بعضهم إلى جانب البعض، يبتلعون الغبار، ويهتزون مع اهتزاز العربة الدائم.

لم يفهم السبب قطّ، إلى أن علقت العربة في أوحال يوم شتائي. عندئذ أمر الحوذي:

- *ركاب الدرجة الأولى يبقون في العربة!*
- *ركاب الدرجة الثانية ينزلون!*
- *وركاب الثالثة... عليهم أن يدفعوا العربة!*

21 شباط

العالم يتقلص

اليوم هو يوم اللغات الأم.

كل أسبوعين تموت لغة.

العالم يتضاءل عندما يفقد بشره طريقة في الكلام، مثلما يفقد نباتاتٍ وحيوانات.

في العام 1974 ماتت آنخيلا لويج، واحدة من آخر السكان الأصليين في تييرا دل فويغو، هناك في أقصى العالم؛ والأخيرة التي تتكلم لغتهم.

وحيدة كانت تغني آنخيلا، ولا لأحد تغني، بتلك اللغة التي لم يعد هناك من يتذكرها:

امضي ماشية على آثار خطوات

اولئك الذين مضوا.

إنني ضائعة.

في أزمنة مضت، كان أبناء شعب الأونا يعبدون عدة آلهة. الإله الأعلى بينها يدعى بيماولك.

بيماولك تعني *كلمة*.

22 شباط

الصمت

في اسطنبول، وكانت تسمى آنذاك القسطنطينية، أنهى بابلو الصامت قصائد الحب الخمس عشرة في العام 563.

هذا الشاعر اليوناني يدين باسمه للعمل الذي كان يقوم به. فقد كان من يحافظ على الصمت في قصر الإمبراطور جوستينيان.

وفي فراشه أيضاً.

إحدى قصائده تقول:

صدرك ملتصق بصدري،

شفتاك في شفتي،

وما سوى ذلك الصمت.

أنا أكره الفم الذي لا يُغلق أبداً.

23 شـباط

كتاب الأعاجيـب

في أحد هذه الأيام من عام 1455 خرج الكتـاب المقـدس إلى النـور، إنه أول كتاب يطبع في أوروبا بحروف طباعة متحركة.

كان الصينيون قد بدؤوا بطباعة كتب قبل نحـو قـرنين مـن ذلـك، ولكن جوهانز غوتنبرغ هو من بدأ بنشر واسع النطاق للرواية الأكثر متعة وتشويقاً في الأدب العالمي.

الروايات تروي ولكنها لا تفسر، ولـيس عليهـا أن تفسـر. الكتـاب المقدس لا يخبرنا بنظام الحمية الـذي اتبعـه نـوح كـي يصـل إلى زمـن الطوفان وعمره ستمئة عام، ولا المنهج الذي اتبعتـه زوجـة أبراهـام كـي تحبل وهي في التسعين، ولا يوضح إن كانت تتكلم العبرية حمارة بلعام التي كانت تتجادل مع صاحبها.

24 شباط

درس في الواقعية

في العام 1815 هرب نابليون بونابرت من سجنه في جزيرة ألبا وانطلق في رحلة استرداد تاج فرنسا.

كان يمضي خطوة خطوة، يرافقه جيش آخذ بالتعاظم، بينما جريدة *المونتير أونيفرسال* التي كانت من قبل جريدته الرسمية، تؤكد أن الفرنسيين يتشوقون لهفة للموت دفاعاً عن الملك لويس الثامن عشر، وتُسمي نابليون *مغتصب الوطن بقوة السلاح والمأجور، والأجنبي الخارج على القانون، المستغِل، الطاغية، الوباء، زعيم قطاع طرق، عدو فرنسا الذي يتجرأ على تلويث الأرض التي طُرد منها*، وتعلن: *سيكون هذا هو آخر أعماله الجنونية.*

ولكن الملك هرب أخيرا، ولم يمت أحد من أجله، وجلس نابليون على العرش دون أن يطلق طلقة واحدة.

عندئذ تحولت الصحيفة نفسها إلى نشر: *أحدث خبر دخول نابليون السعيد إلى العاصمة ابتهاجاً مفاجئاً وعاماً، الجميع يتبادلون العناق، وهتافات يحيا الإمبراطور تملأ الأجواء، ودموع السعادة تملأ كل العيون، الجميع يحتفلون بعودة بطل فرنسا ويتعهدون لجلالة الإمبراطور بالامتثال والخضوع الكاملين.*

25 شباط

ليلة «الكونا»

أمرت حكومة بنما، بقانون، أن تُخضع القبائل الهمجية وشبه الهمجية والمتوحشة في البلاد للحياة المتحضرة.

وأعلن الناطق باسمها:

- لن يُسمح لهنديات الكونا بعد اليوم بأن يطلين أنوفهن، وإنما سيطلين خدودهن، ولن يضعن أقراطاً في أنوفهن وإنما في آذانهن. ولن يلبسن ملابس «المولا» المزركشة، وإنما ملابس متحضرة.

وصارت محظورة عليهنّ وعليهم ديانتهم وطقوسهم التي تثير غضب الرب، ونزوتهم التقليدية بأن يحكموا أنفسهم على طريقتهم وأسلوبهم.

في العام 1925، في ليلة هذا اليوم الخامس والعشرين من شهر ضب الإغوانا، أعمَلَ هنودُ الكونا السكين في جميع الشرطيين الذين يمنعونهم من أن يعيشوا حياتهم.

ومنذ ذلك الحين تُواصل نساء الكونا تعليق الأقراط في أنوفهن المطلية، ويواصلن ارتداء مطرزات المولا، هذا الفن البديع في الرسم باستخدام خيط وإبرة بدل رياش التلوين. ومازلن هنَّ، وهم أيضاً، يواصلنَ طقوسهم واجتماعاتهم، في الألفي جزيرة حيث يدافعون، بالحسنى أو الإكراه، عن مملكتهم المشتركة.

26 شباط

افريقياي

في أواخر القرن التاسع عشر، اجتمعت القوى الاستعمارية الأوروبية الكبرى في برلين لتتقاسم أفريقيا.

كان الصراع طويلاً وشاقاً على الغنيمة الاستعمارية، على الأدغال، الأنهار، الجبال، الأراضي، وباطن الأراضي، إلى أن رُسمت الحدود

الجديدة، وفي هذا اليوم من عام 1885، تم التوقيع، *باسم الرب كلي القدرة*، على المحضر العام.

الأسياد الأوروبيون كانوا سليمي الذوق ولم يذكروا الذهب، والماس، والعاج، والبترول، والمطاط، والقصدير، والكاكاو، والبن، وزيت النخيل.

أطلقوا تسمية *جمعيات خيرية* على الشركات التي تزود السوق العالمي بلحم بشري:

نبّهوا إلى أنهم يعملون تدفعهم الرغبة في *مصلحة تطور التجارة والحضارة*.

وحتى لا يكون هنالك أي شك، أوضحوا أنهم يعملون من أجل *زيادة الرخاء الأخلاقي والمادي للشعوب المحلية*.

هكذا اخترعت أوروبا خريطة أفريقيا الجديدة.

لم يكن هناك أي أفريقي، ولو على سبيل الزينة، في اجتماع القمة ذاك.

27 شباط

المصارف ليست خالدة أيضاً

كل خُضرة تفنى، هذا ما أعلنه الكتاب المقدس.

في العام 1995، سقط بنك بارينغز، أقدم بنوك إنكلترا، في هوة الإفلاس. بعد أسبوع من ذلك جرى بيعه بسعر إجمالي مقداره واحد (1) جنيه استرليني لا غير.

كان هذا المصرف هو الذراع التمويلي للإمبراطورية البريطانية.

الاستقلال والدين الخارجي ولدا معاً في أمريكا اللاتينية. جميعنا

نولد مدينين. ففي أراضينا، اشترى مصرف بارينغز بلداناً، واستأجر شخصيات سامية، وموّل حروباً.

وظن أنه خالد.

28 شباط
عندما

عندما كان ينزل على السلّم الحلزوني في سفينة، خطر له أنه ربما تكون حركة جزيئات البروتينات على هذا النحو الحلزوني وعلى أرضية متموجة، ونتج عن هذه الفكرة اكتشاف علمي.

عندما اكتشف أن السيارات هي السبب في كثرة سعاله في مدينة لوس أنجلوس، اخترع السيارة الكهربائية التي كان إخفاقاً تجارياً.

عندما أصابه مرض في كليتيه، لم تحسّن الأدوية من حالته، فوصف لنفسه طعاماً صحياً وقصفاً بالفيتامين C. وهكذا شفي.

عندما انفجرت القنبلتان فوق هيروشيما وناغازاكي، دُعي لإلقاء محاضرة علمية في هوليود، وحين اكتشف أنه لم يقل ما يريدون منه قوله تحول إلى ترؤس الحملة العالمية ضد الأسلحة الذرية.

عندما تلقى جائزة نوبل للمرة الثانية، استنكرت مجلة **لايف** الأمر باعتباره إهانة. وكانت الولايات المتحدة قد تركته، في مناسبتين اثنتين، دون جواز سفر، للاشتباه بأنه متعاطف مع الشيوعيين، أو لأنه قال إن الرب مجرد فكرة غير ضرورية.

كان اسمه لينوس بولينج. وكان قد ولد مع ولادة القرن.

29 شــباط

ما لم يذهب مع الريح

من عادة هذا اليوم الظهور في التقويم، ولكنه يعـود مـرة كـل أربـع سنوات.

إنه أغرب يوم في السنة.

ولكن هذا اليوم لم يكن على أي شيء مـن الغرابـة في هوليـود عـام 1940.

ففي 29 شباط منحت هوليود، بصورة طبيعية تامة، كـل جوائزهـا تقريباً، ثمانية أوسكارات، لفيلم *ذهب مع الريح*، الفيلم الذي كان زفرة حنين طويلة على أزمنة العبودية الطيبة الضائعة.

وهكذا أكدت هوليود عاداتها. فقبل خمسة وعشرين عاماً، كان أول نجاحاتها الخارقة، *ميلاد أمة*، أنشودة ثناء على الكوكلاكس كلان.

آذار / مــارس

1 آذار

حكـــان

إليسا لينش تحفر القبر بأظفارها.

الجنود المنتصرون، المذهولون، يتركونها تفعل ذلك.

ضربات أظفار المرأة تثير سحب غبار أحمر وتهز الشعر الضارب إلى الحمرة الذي يهطل على وجهها.

سولانو لوبيث يرقدُ إلى جانبها.

وهي، المبتورة منه، لا تبكيه، لا تنظر إليه: تلقي عليه تراباً، حفنات غير مجدية تريد دفنه في الأرض التي كانت أرضه.

هو لم يعد ما كانه، وباراغواي لم تعد ما كانته.

خمس سنوات استمرت الحرب.

وسقط، اغتيالاً، البلد الأمريكي اللاتيني الوحيد الذي رفض الانصياع للمصرفيين والتجار.

وبينما إليسا تواصل إلقاء حفنات من التراب على الرجل الذي كان رجلها، كانت الشمس تغيب، ومع الشمس كان يغيب هذا اليوم اللعين من عام 1870.

ومن جبل كورا الوارف، عصافير قليلة كانت تقول له وداعاً.

2 آذار

مُصَفِّراً القول

الصفير هو اللغة في جزيرة غوميرا.

في العام 1999 قررت حكومة جزر الكناري أن تُدَرَّس في المدارس اللغة الخالدة التي يصفِّر بها الشعب.

في الزمن القديم، كان رعاة جزيرة غوميرا يتواصلون بالصفير، من جبال بعيدة، وبفضل الوهاد، تتضاعف الأصداء. وهكذا كانوا يبثون رسائل ويروون أحداثاً، وأخبار الذاهبين والقادمين، والأخطار، والأفراح، والأعمال والأيام.

مضت القرون، ومازال ذلك الصفير البشري ـ محط حسد الطيور ـ متمكناً بقوة مثل أصوات الرياح والبحر.

3 آذار

مُحَرِّرَات برازيليات

في هذا اليوم، من عام 1770، انتهى حُكمُ تيريزا دي بينغيلا في كواريتير.

لقد كانت واحدة من قديسي تحرير الزنوج الهاربين في البرازيل. وطوال عشرين عاماً، سببت تيريزا الجنون لجنود حاكم ماتو غروسو. لم يتمكنوا من القبض عليها حية.

في مخابئ الأدغال، وُجِدتْ عدةُ نساء كنَّ، فضلاً عن أنهن يطبخن وينجبن أبناء، قادرات على القتال والقيادة، مثل زاسيما غامبا في

سبيريتو سانتوس، وماريانا كريولا في ريو دي جانيرو، وزيفيرينا في باهيا، وفيليبا ماريا أرانها في توكانتينس.

وفي بارا، على ضفاف نهر ترومبيتاس، لم يكن هنالك من يجادل في أوامر ماي دومينغاس.

وفي مخبأ بالماريس الفسيح، في ألاغواس، حكمت الأميرة الأفريقية أكوالتوني قرية محررة، إلى أن أحرقت على يد القوات الاستعمارية عام 1677.

ومازال هنالك المزيد، كانت تُطلق في بيرنامبوكو تسمية «منطقة امتياز الخلاسيات» على التجمع السكاني الذي أسسته في العام 1802 زنجيتان هاربتان: الشقيقتان فرانسيسكا وميندينتشا فيريرا.

عندما كانت قوات النخاسة تقترب، كانت العبدات المتحررات يملأن شعورهن الأفريقية الكثيفة بالحبوب. وكما في مناطق أخرى من أمريكا، كنّ يحولن شعورهن إلى مستودع حبوب، تحسباً لإمكانية الانطلاق هاربات بصورة مفاجئة.

4 آذار

المعجزة السعودية

في العام 1938 دوى الخبر العظيم: ستاندرد أويل كومباني اكتشفت بحراً من النفط تحت الرمال اللامتناهية في العربية السعودية.

تلك البلاد، حالياً، هي مُصَنّع أشهر الإرهابيين، والأكثر خرقاً لحقوق الإنسان، ولكن القوى العظمى الغربية التي تُكثر من الحديث عن الخطر العربي بزرع الرعب أو إلقاء القنابل، تقيم أفضل العلاقات مع

تلك المملكة ذات الخمسة آلاف أمير. أيكون السبب أيضاً هو أنها من تبيع أكبر كميات بترول ومن تشتري أكبر كميات أسلحة.

5 آذار

الطلاق كإجراء صحي

في العام 1953 قُدم في مكسيكو العرض الأول لفيلم للويس بونويل عنوانه «هو».

كان المنفيُّ الإسباني قد حوّل إلى فيلمٍ روايةً منفيةٍ إسبانيةٍ هي مرثيدس بينتو تروي فيها عذابات الحياة الزوجية.

استمر عرض الفيلم ثلاثة أسابيع. وكان الجمهور يضحك كما لو أنه يشاهد فيلماً للكوميدي المكسيكي كانتنفلاس.

مؤلفةُ الروايةِ طُردت من إسبانيا عام 1923. فقد ارتكبت تدنيساً للمقدسات حين ألقت محاضرة في جامعة مدريد بعنوان يجعل منها امرأة لا تطاق: *الطلاق كإجراء صحي*.

استدعاها الدكتاتور ميغيل بريمو دي ريفيرا. تكلم باسم الكنيسة الكاثوليكية، الأمّ المقدسة، وبكلمات قليلة قال كل شيء:

- *إما أن تصمتي أو تغادري*.

وغادرت مرثيدس بينتو.

ومنذ ذلك الحين، كانت خطواتها الإبداعية توقظ الأرض التي تطؤها، خلّفت آثارها في أروغواي، وبوليفيا، والأرجنتين، وكوبا، والمكسيك...

6 آذار

صاحبة الأزهـار

غريغوريا أوكيف عاشت وهي ترسم، طوال قرابة قرن من الزمـان، وماتت وهي ترسم.

لوحاتُها رفعتْ حديقةً في عزلة الصحراء.

أزهار غريغوريا لها أشكال بظر، وأرحامٍ، وحلماتٍ، وسُرَرٍ، بـين كؤوسِ قداس حَمْدٍ لسعادة أنها ولدتْ امرأة.

7 آذار

الساحرات

في العام 1770، صدر قانون إنكليزي يدين النساء المخادعات.

أولئـك الغـادرات يغـوين رعايـا جلالتـه ويـدفعنَ بهـم إلى الـزواج باستخدام فنون خبيثة مثل *العطور، الأصباغ، الحمامات التجميليـة، الأسـنان الاصـطناعية، الشـعور المسـتعارة، حشـوات الصـوف، الصدارات، الخواتم والأقراط، أحذية الكعوب العالية.*

مقترفات هذا النوع من التـدليس، يقـول القـانون، *يحاسـبن وفـق القوانين السارية ضد أعمال السحر، وتُعتبر زيجاتهن باطلة منحلة.*

لقـد حـالَ التخلـف التكنولـوجي دون إدراج السـيليكون، وشـفط الشحم، والبوتكس، وعمليات التجميل وغيرها من أعاجيب الجـراحين والكيميائيين.

8 آذار

تكريمـات

اليوم هو عيد المرأة

على امتداد التاريخ انشغل بـالمرأة عـدد مـن المفكـرين، الإنسـانيين والإلهيين، جميعهم ذكور، وكان انشغالهم لأسباب مختلفة:

* تشريحها

أرسطو: *المرأة هي رجل غير مكتمل.*

القديس توما الأكويني: *المرأة هـي خطأ مـن الطبيعـة، تولـد مـن حيوان منوي في حالة سيئة.*

مـارتن لـوتيرو: *للرجـال كتفـان عريضـان ووركـان ضـيقان. وهـم مزودون بالذكاء. للنساء كتفان ضيقان ووركان عريضـان، كـي ينجبن أبناء ويقعدن في البيت.*

* طبيعتها

فرانثيسكو دي أبييـدو: *الـدجاجات تضـع بيضاً والنسـاء يضـعن قروناً.*

القديس يوحنا الدمشقي: *المرأة حمارة عنيدة.*

آرثر شوبينهاور: النساء حيوان طويل الشعر وقصير الفكر.

* قدرهـا

قال يهوه للمرأة، كما جاء في التوراة: *زوجك يسيطر عليكِ.*

وقال محمد، مستلهماً القرآن: *المرأة الصالحة هي المطيعة.*

9 آذار

يوم غزت المكسيك الولايات المتحدة

في فجر هذا اليوم من عام 1916، اجتاز بانتشو بييّا الحدود وأحرق مدينة كولومبس، وقتل بعض الجنود، واستولى على بعض الخيول والذخائر، وفي اليوم التالي رجع إلى المكسيك ليروي مأثرته. هذا التوغل السريع لخيالة بانتشو بييّا هو الغزو الوحيد الذي تعرضت له الولايات المتحدة في تاريخها.

ولكن هذه البلاد غزت بالمقابل، ومازالت تغزو العالم بأسره تقريباً. ومنذ العام 1947 تسمى وزارة حربها «وزارة الدفاع»، وميزانيتها الحربية تسمى «ميزانية الدفاع». التسمية أحجية حلّها أصعب من حلّ أحجية الثالوث المقدس.

10 آذار

الشيطان عزف الكمان

في هذه الليلة من عام 1712، زار الشيطانُ عازفَ الكمان الشاب جوسيب تارتيني، وفي الحلم عزف له.

ظن جوسيب أن تلك الموسيقى لن تنتهي أبداً؛ ولكنه عندما استيقظ كانت الموسيقى قد غادرت.

وبحثاً عن تلك الموسيقى الضائعة، ألف تارتيني مئتين وتسع عشرة سوناتا، عزفها جميعها ببراعة غير مجدية على امتداد حياته.

كان الجمهور يصفق لإخفاقه.

11 آذار

اليســار جامعة اليمين

في العام 1931 ولد، في أستراليا، طفل سُمي روبرت.

خلال سنوات قليلة تحول روبرت موردوخ إلى سيد ومالك وسائل الاتصال في العالم بأسره.

التحليق المذهل نحو النجاح لا يمكن تفسيره فقط بمكره وبراعته في الألعاب القذرة. فقد وجد روبرت العونَ كذلك في معرفته بأسرار عمل النظام الرأسمالي.

وهو ما تعلمه حين كان طالباً في العشرينيات من عمره، عندما كان يكنّ تقديراً كبيراً للينين ويقرأ ماركس.

12 آذار

الحلم يعرف أكثر من اليقظة

يتحول جبل فوجي، رمز اليابان، إلى اللون الأحمر.

تغطي الماء سحب البلوتونيوم الحمراء، وسحب السترونيتوم الصفراء، سحب السيسيوم الأرجوانية، جميعها عناصر مشعة محملة بالسرطان ومسوخ أخرى.

ثلاث محطات نووية انفجرت.

الناس اليائسون يهربون إلى لا مكان:

- *لقد خدعونا! لقد خدعونا!*

بعضهم يلقي بنفسه إلى البحر أو إلى الفراغ، لكي يعجل المصير.

أكيرا كيروساوا حلم بهذا الكابوس، وصوّره قبل عشرين عاماً من الكارثة التي تمخضت في بدايات العام 2011 عن كارثة قيامية في بلاده.

13 آذار

النـوايا الحسـنة

في هذا اليوم من عام 2007، اعترفت شركة الموز تشيكيتا براندز، وريثة اليونايتد فروت كومباني، بأنها موّلت خلال سبع سنوات المنظمات شبه العسكرية الكولومبية، ووافقت على دفع غرامة.

الجماعات شبه العسكرية تقدم حماية ضد الإضرابات وعادات أخرى ذميمة تقوم بها النقابات العمالية. مئة وثلاثة وستون نقابياً جرى اغتيالهم في منطقة الموز خلال تلك السنوات.

الغرامة كانت خمسة وعشرين مليون دولار. لم يصل سنت واحد منها إلى أسر الضحايا.

14 آذار

رأس المـال

في العام 1883 انضم حشد إلى جنازة كارل ماركس، في مقبرة لندن: حشد مؤلف من أحد عشر شخصاً، بمن فيهم موظف الدفن.

أشهر عباراته نُقشت على لوحة القبر:

الفلاسفة فسروا العالم بطرق مختلفة، ولكن المسألة هي في تغييره.

نبي تغيير العالم هذا أمضى حياته هارباً من الشرطة ومن الدائنين.

وحول عمله الأهم علق يقول:

- لم يكتب أحد هذا الكمّ من الكتابة عن المال وهو لا يملك إلا

قليلاً جداً من المال. رأس المال لن يكفي لتسديد ثمن التبغ الذي دخنته وأنا أكتبه.

15 آذار

أصـوات الليـل

في هذه الليلة من عام 44 قبل المسيح، استيقظت كليوباترا باكية.

لقد حلمت بأن زوجها، مطعوناً بخناجر، يحتضر بين ذراعيها.

روتْ له كليوباترا الحلم، وتوسلت إليه باكية أن يظل في البيت، لأن المقبرة تنتظره في الخارج.

لكن المتغطرس الأعلى، الدكتاتور مدى الحياة، المحارب الإلهي، الإله الذي لا يُقهر، لا يمكن له الاهتمام بحلم امرأة.

أزاحها يوليوس قيصر بيده جانباً، وسار باتجاه مجلس شيوخ روما إلى موته.

16 آذار

حكايـة الحكايات

في هذه الأيام، وفي أيام أخرى أيضاً، يحتفلُ بأعيادِهم الرواةُ الذين يحكون الحكايات بأصواتهم، ويكتبونها في الهواء.

رواة الحكايات لهم ألوهيات متعددة تُلهمَهم وتحميهم.

أحدهم، رافويما، الجدّ الذي روى قصة أصل شعب أويتوتو في

منطقة آراكوارا الكولومبية.

لقد روى رافويما أن الأويتوتو ولدوا من الكلمات التي تروي ولادتهم. وفي كل مرة يروون حكايتهم يعود الأويتوتو إلى الولادة من جديد.

17 آذار

هما عرفا الإصغاء

كارلوس وغُدروم لينكيرسدورف ولد وعاش في ألمانيا.

في العام 1973، وصل هذان الأستاذان اللامعان إلى المكسيك. ودخلا عالم المايا، دخلا إلى قرية للقبيلة توخولاباال، وقدما نفسيهما بالقول:

- *جئنا لنتعلم.*

السكان الأصليون صمتوا.

بعد قليل، شرح أحدهم الصمت:

- *هذه أول مرة يقول لنا أحدٌ هذا القول.*

وتعلما، وظلا هناك، غُدروم وكارلوس، طوال سنوات وسنوات.

تعلما من لغة المايا أنه لا وجود لتراتبية تفصل الشخص عن الموضوع، لأنني أنا أشرب الماء الذي يشربني وأنظر إلى كل ما ينظر إليّ، وتعلما أن يحييا هكذا:

- *أنا أنت آخر.*

- *وأنت أنا آخر.*

18 آذار

مع الآلهة بداخلهم

في سلسلة جبال الأنديز، طردَ الغزاةُ الإسبان الآلهة المحليين.

جرى انتزاع أحشاء عبادة الأوثان.

ولكن في حوالي العام 1560، رجع الآلهة. ارتحلوا بأجنحتهم الكبيرة آتين لا أحد يعرف من أين، واندسوا في أجساد أبنائهم، بدءاً بأياكوتشو حتى أورورو، وفي تلك الأجساد رقصوا. الرقصات التي ترقصُ التمردَ عوقبت بالسوط أو المشنقة، ولكن لم تكن ثمة طريقة لوقفها. وواصلت الإعلان عن نهاية الإذلال.

كلمة «ناوبا» بلغة الكيتشوا تعني *كان*، ولكنها تعني أيضاً: *سيكون*.

19 آذار

ولادة السينما

في العام 1895، صوّر الأخوان لوميير ـ لويس وأغوست ـ فيلماً قصيراً مقتضباً يُظهر خروج العمال من مصنع في ليون.

هذا الفيلم، الأول في تاريخ السينما، لم يره إلا قلة من الأصدقاء، ولا أحد سواهم.

أخيراً، في 28 كانون الأول، قدمه الأخوان لوميير إلى الجمهور، مع تسعة أفلام قصيرة أخرى من صنعهم، تسجل أيضاً لحظات سريعة من الواقع.

في قبو مقهى باريس، تم الافتتاح العالمي للعرض العجيب ابن العدسة السحرية وعجلة الحياة وفنون أوهام أخرى.

إشغال تام للكراسي. خمسة وثلاثون شخصاً، وفرنك واحد لكل كرسي.

جورج ميليس كان واحداً من المشاهدين. أراد شراء الكاميرا الفيلمية. ولأنهما لم يبيعاها، لم يجد مفراً من اختراع واحدة.

20 آذار

العالم مقلوباً

في 20 آذار من العام 2003، قصفت طائرات العراق الولايات المتحدة.

بعد القصف، غزت القوات العراقية الأراضي الأمريكية.

وقعت عدة أضرار جانبية. الكثير من المدنيين الأمريكيين، معظمهم من النساء والأطفال، فقدوا حياتهم أو بُترت أطرافهم. لم يُعرف العدد الدقيق، لأن التقاليد تقضي بإحصاء ضحايا القوات الغازية وتحظر إحصاء ضحايا الأهالي المحتلين.

كانت الحرب أمراً لا سبيل إلى تجنبه. فأمن العراق، والإنسانية بأسرها، كان مهدداً بأسلحة الدمار الشامل المتراكمة في ترسانات الولايات المتحدة.

ولا وجود لأي أساس بالمقابل للإشاعات الخادعة التي تنسب إلى العراق النية في الاستيلاء على بترول ألاسكا.

21 آذار

العالم كما هو

الحرب العالمية الثانية هي من قتلت أكبر عدد من الناس في تاريخ المجازر البشرية، ولكن إحصاء الضحايا ظل قاصراً.

الكثير من جنود المستعمرات لا يرد ذكرهم في قوائم الموتى. إنهم السكان الأصليون الأستراليون، والهنود، والبورميون والفيليبينيون والجزائريون والسنغاليون والفيتناميون وكثيرون آخرون من الزنوج والسمر والصفر أجبروا على الموت في سبيل راية أسيادهم.

التسعيرات: يوجد أحياءٌ من الدرجة الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

والموتى يحدث لهم الشيء نفسه.

22 آذار

يوم الماء

من ماء نحن.

من ماء انبثقت الحياة. الأنهار هي الدم الذي يغذي الأرض، ومن ماء تشكّلت خلايا التفكر فينا، والدموع التي تبكينا والذاكرة التي تذكّرُنا.

والذاكرة تروي لنا أن صحارى اليوم كانت غابات الأمس، وأن العالم الجاف عرف كيف يكون عالماً مبللاً، في تلك الأزمنة النائية حين لم يكن الماء والأرض ملكاً لأحد وكانا للجميع.

من الذي استولى على الماء؟ القردُ الذي كان يملك الهراوة. فالقرد الأعزل مات بضربة هراوة. وإذا لم تخني الذاكرة، هكذا يبدأ فيلم *2001، أوديسة الفضاء*.

بعد زمن من ذلك، في العام 2009، اكتشفت سفينة فضائية أن هنالك ماءً في القمر. الخبر سرّع من خطط الغزو.

يا للقمر المسكين.

23 آذار

لماذا نذبح الهنود

في العام 1982 أطاح الجنرال إيفرين ريوس مونت بجنرال آخر بمكيدة متقنة، ونصّب نفسه رئيساً لغواتيمالا.

بعد عام ونصف من ذلك، نسبَ الرئيسُ، وهو راعي كنيسة «الكلمة»، مقرها كاليفورنيا، إلى نفسه الانتصار في الحرب المقدسة التي دمرت أربعمئة وأربعين قرية للسكان الأصليين.

تلك المأثرة، حسب رأيه، ما كانت ممكنة التحقيق لولا الروح القدس الذي يوجه خطى أجهزة مخابراته، ومشاركٌ مهم آخر هو مرشده الروحي فرانسيسكو بيانتشي، وأضاف موضحاً لمراسل *النيويورك تايمز*:

- مقاتلو حرب العصابات لديهم متعاونون كثيرون بين الهنود. أولئك الهنود متمردون، صحيح؟ وكيف نقضي على المتمردين؟ من الجلي أنه لا بد من قتل أولئك الهنود. ثم يقال بعد ذلك: «إنهم يقترفون المذابح ضد أبرياء». ولكنهم ليسوا أبرياء.

24 آذار

لماذا نغيِّب المغيبين

في هذا اليوم من العام 1976 ولدت الدكتاتورية العسكرية التي غيّبت آلاف الأرجنتينيين.

بعد عشرين عاماً من ذلك، شرح الجنرال خورخي رافائيل بيديلا للصحفي جيدو براسلافسكي:

- لا، لم يكن الإعدام رمياً بالرصاص ممكناً. فلنفترض رقماً، فلنفترض خمسة آلاف. ما كان يمكن للمجتمع الأرجنتيني أن يتقبّل الإعدامات: أمس اثنان في بوينس آيرس، اليوم ستة في كوردوبا، غداً أربعة في روساريو، وهكذا حتى خمسة آلاف... لا، غير ممكن. والإخبار أين هي الرفات؟ ولكن، ما الذي يمكننا الإشارة إليه؟ أفي البحر، في نهر لابلاتا، في نهر رياتشويلو؟ لقد جرى التفكير في ذلك الحين بإعلان قوائم. ولكن طرح بعد ذلك: إذا ما اعتُبروا ميتين، ستأتي على الفور الأسئلة التي لا يمكن الإجابة عليها: من قتل، متى، أين، كيف...

25 آذار

البشــــارة

في ذات يوم مثل هذا، بزيادة يوم أو نقصان يوم، نزل ملاك الرب جبرائيل من السماء وعلمتْ مريم العذراء أن ابن الرب يسكن أحشاءها.

آثار من العذراءِ تُقَدَّسُ الآن في كنائس عديدة في العالم:

أحذية وأخفاف استخدمتها؛

قمصان وأثواب كانت لها؛

كوفيات، أكاليل، أمشاط؛
خِمارات وخصل شعر؛
آثار حليب مما أرضعته ليسوع
وخواتم خطوبتها الأربعة، على الرغم من أنها تزوجت مرة واحدة.

26 آذار

مُحَرِّرات من المايـا

في هذه الليلة من العام 1936، قُتلت رجماً بالحجارة فيليبا بوت، وهي هندية من شعب المايا، في قرية كينتشيل.

وفي عملية الرجم سقطتْ ثلاث رفيقات لها، من المايـا أيضـاً، كـنّ يكافحن إلى جانبها ضد الحزن والخوف.

قتلتهن *السلالة الإلهية*، مثلما يطلق على أنفسهم مالكو الأراضـي والبشر في يوكاتان.

27 آذار

يـوم المســرح

في العام 2010، طالبت شركة موري هيل إنكربوريشن أن يتوقف، عنِ التمثيل المسرحي، السياسيون الذين يتظاهرون بأنهم يحكمون.

قبل قليل من ذلك كانت محكمة العدل العليا في الولايات المتحـدة قد صرحت بأنه لا خرق للقانون في تمويل الشركات لحملات السياسيين الانتخابية؛ ومنذ زمن طويل سابق، كانت شرعيةُ الرشى الـتي يتلقاهـا المشرعون من *اللوبيات*.

وبتطبيق الحس السليم، أعلنت شركة موري هيل إنكربوريشن أنها ستقدم مرشحها لكونغرس الولايات المتحدة، عن ولاية ميرلاند. فقد حان الوقت للتخلص من الوسطاء.

- إنها ديمقراطيتنا. نحن نشتريها. ونحن ندفع ثمنها. فلماذا لا نقود الدفة؟ صوتوا لنا كي تحصلوا على أفضل ديمقراطية يمكن للمال أن يشتريها.

أناس كثيرون ظنوا أنها مزحة. أكانت مزحة؟

28 آذار

صنع أفريقيا

في العام 1932، بعد قليل من عرض الافتتاح، صار *طرزان، الرجل القرد* يجتذب حشوداً تشكل أرتالاً طويلة أمام دور السينما.

منذ ذلك الحين كان طرزان هو جوني ويسمولر، المولود في رومانيا، وكانت صرخته التي انتشرت من هوليود هي اللغة الأفريقية العالمية، بالرغم من أنه لم يذهب إلى أفريقيا قط.

لم تكن لغة طرزان غنية المفردات، فهو لا يعرف أن يقول سوى Me Tarzan, you Jane، ولكنه يَسْبَحُ كما لا يسبح أحد، وقد كسب خمس ميداليات ذهبية في الأولمبياد، ويصرخ مثلما لم يصرخ أحد قط.

صرخةُ ملك الأدغال تلك هي من عمل دوغلاس شيرير، وهذا خبير صوت استطاع أن يخلط أصوات غوريلات، وضباع، وجِمال، وكمانات، وأصوات سوبرانو وتينور.

حتى اليوم الأخير من حياته، كان على جوني ويسمولر أن يتحمّل حصار المعجبين الذين يرجونه أن يصرخ لهم صرخته.

29 آذار

هنا كانت توجد أدغال

معجزة في الأدغال الأمازونية: في العام 1967 انبثقت دفقةُ بترول كبيرة من بحيرة لاغو أغريو.

منذ ذلك الحين، جلست شركة تكساكو إلى المائدة، بفوطة على صدرها وشوكة في يدها، وأتخمت وهي تبتلع بترولاً وغازاً طوال ربع قرن، وتبرزت على غابات الإكوادور سبعةً وثلاثين ألف مليون لتر من السموم.

السكان الأصليون ما كانوا يعرفون كلمة *تلوث*. وقد تعلموها عندما صارت الأسماك تموت وبطونها إلى أعلى في الأنهار، وتحوّلَ ماء البحيرات مالحاً، وراحتْ الأشجار تيبس على الضفاف، وهربتْ الحيوانات، ولم تعدْ الأرض تعطي ثماراً وصار الناس يولدون مرضى.

عدة رؤساء إكوادوريين، جميعهم فوق الشبهات، ساهموا في المهمة التي كانت نزيهة وصفق لها مروجو الدعاية الاستخراجية، والصحفيون الذين زيّنوها، والخبراء الذين برروها، والعلماء الذين برؤوها.

30 آذار

يوم الخدم المنزليين

كانت ماروخا بلا عُمر.

عن سنواتها الماضية، ليس لديها ما ترويه. ومن سنواتها الآتية لا تنتظر شيئاً.

لم تكن جميلة ولا قبيحة، لم تكن أقل ولا أكثر.

تمشي مجرجرة قدميها، ممسكة بمنفضة الريش، أو المكنسة، أو المغرفة.

في يقظتها، تُغطِّس رأسها بين كتفيها.

وفي نومها، تُغطّس رأسها بين ركبتيها.
حين يكلمونها، تنظر إلى الأرض، كمن يعدُّ نملاً.
لقد عملتْ في بيوت الآخرين منذ وعت على الدنيا.
لم تخرج قط من مدينة ليما.
سعتْ وعملتْ كثيراً، متنقلة من بيت إلى بيت، ولم تجد نفسها في أي بيت منها. وأخيراً، وجدت مكاناً عُوملت فيه كما لو أنها شخص.
بعد أيام قليلة، غادرتْ.
فقد بدأتْ تشعر بالمحبة.

31 آذار

هذا البرغوث

في العام 1631 مات جون دُون في لندن.
معاصرُ شكسبير هذا لم ينشر شيئاً، أو لا شيء تقريباً.
بعد قرون، حالفنا الحظ بمعرفة بعض الأشعار التي خلّفها.
مثل هذه:

مرتان احببتك، او ثلاث مرات،
حين لم اكن اعرف وجهك او اسمك.

أو هذه:

لسعني أنا، والآن أنتِ،
وفي هذا البرغوث امتزجتْ دماؤنا.
هذا البرغوث هو أنا، وهو أنتِ
وهو فراش زفافنا،
ومعبدنا.

نيســان / ابريــل

1 نيسان

المطران الأول

في العام 1553، نزل إلى اليابسة بيدرو سارينا، أول مطران للبرازيل.

بعد ثلاث سنوات من ذلك، إلى الجنوب من ألاغوسا، أكلهُ هنود الكايتي.

بعض البرازيليين يرون أن قصة وجبة الغداء تلك مختلقة، وأنها كانت ذريعة من السلطة الاستعمارية للاستيلاء على أراضي هنود الكايتي وإبادتهم على امتداد حرب *مقدسة* طويلة.

برازيليون آخرون يعتقدون بالمقابل أن هذه القصة قد حدثت مثلما تُروى. فالمطران الذي يحمل قَدره في اسمه، كان مؤسساً لاإرادياً للمطبخ الوطني.

2 نيسان

صناعة الرأي العام

في العام 1917 أعلن الرئيس وودرو ويلسون أن الولايات المتحدة ستدخل الحرب العالمية الأولى.

قبل أربعة شهور ونصف الشهر من ذلك، كانت قد جرت إعادة انتخاب ويلسون باعتباره مرشح *السلام*.

تلقى الرأي العام خطاباته السلمية ثم إعلانه الحرب بالحماسة نفسها.

3 نيسان

فتيان طيبون

في العام 1882، دخلت رصاصةٌ في رقبة جيسي جيمس. أطلقها صديقه الأفضل كي يقبض المكافأة.

قبل أن يتحول إلى أشهر قاطع طريق، كان جيسي قد قاتل ضد الرئيس لينكولن، في صفوف جيش مؤيدي العبودية في الجنوب. وعندما خسر فريقه الحرب، لم يجد بداً من تغيير العمل. وهكذا ولدت عصابة جيسي جيمس.

العصابة التي كانت تستخدم أقنعة الكوكلاكس كلان، بدأت نشاطاتها بالسطو على قطار لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة، وبعد تجريد جميع المسافرين مما يحملونه، انهمك في سلب البنوك وعربات البريد.

تروي الأسطورة أن جيسي كان شيئاً أشبه بروبين هود في الغرب الأمريكي المتوحش، يسرق من الأغنياء ليساعد الفقراء، ولكن أحداً لم يعرف قطّ فقيراً تلقى نقوداً منه.

وبالمقابل، من المُثبت أنه ساعد هوليود كثيراً. فصناعة السينما تدين له بأربعين فيلماً، جميعها تقريباً من الأفلام التي حققت نجاحاً، حيث كان أشهر نجومها، ابتداء من تيرون باوير حتى براد بيت، يشهرون مسدسه الذي يتصاعد منه الدخان.

4 نيسان
الشبح

في العام 1846 ولد إيسيدور دوكاس.

كانت أزمنة حرب في مونتيفيديو، وجرى تعميده تحت قصف المدافع.

فور تمكنه من الرحيل سافر إلى باريس. وتحوّل هناك إلى الكونت لوتيريمونت، وأسهمت كوابيسه في تأسيس السوريالية.

لقد جاء إلى الدنيا في زيارة وحسب: خلال حياته القصيرة أشعل اللغة، وفي كلماتها احترق، وتحول إلى دخان.

5 نيسان
يوم النور

حدث ذلك في أفريقيا، في إيفي، وهي مدينة مقدسة في مملكة اليوروبا، ربما في يوم مثل هذا اليوم، أو من يدري متى.

عجوز مسن جداً، ومريض جداً، جمع أبناءه الثلاثة، وقال لهم:

- *أشيائي العزيزة ستكون لمن يستطيع أن يملأ هذه الحجرة بالكامل.*

وانتظر في الخارج، جالساً، بينما الليل يخيم.

أحد الأبناء أحضر كل ما استطاع جمعه من القش، ولكن لم يمتلئ سوى نصف الحجرة.

الثاني جاء بكل ما استطاع جمعه من الرمل، لكن نصف الحجرة ظلّ فارغاً.

الابن الثالث أشعل شمعة.

فامتلأت الحجرة.

6 نيسان

اجتياز الليل

في بعض القرى المنسية في جبال غواتيمالا، تبدعُ أيادٍ مجهولة الدمى نازعة الأحزان.

هذه الدمى الصغيرة علاج مقدس ضد أشكال القلق: تنزعُ قلقَ القلقين وتنقذهم من وباء الأرق.

الدمى نازعة الأحزان لا تقول شيئاً. إنها تعالج بالاستماع. تقبع تحت الوسادة، تسمع الأحزان، والآلام، والشكوك، والديون، وكافة العذابات التي تحاصر النوم البشري، وتحملها بطريقة سحرية بعيداً، بعيداً جداً، إلى المكان السري حيث لا يعود الليل في أية ليلة معادياً.

7 نيسان

حساب الطبيب

منذ ثلاثة آلاف عام، أقر حمورابي، ملك بابل، تعرفة الطبابة بالقانون، مثلما أملتها الآلهة:

إذا عالج الطبيب بمشرطه البرونزي جرحاً خطيراً أو دُملاً في عين رجل حر، يتلقى عشرة شواقل فضة.

إذا كان المريض من أسرة فقيرة، يتلقى الطبيب خمسة شواقل فضة.

إذا كان المريض عبداً لرجل حر، يدفعُ سيده للطبيب شاقليّ فضة.

تُقطع يدا الطبيب إذا تسبب علاجه بموت رجل حر، أو تسبب بفقدانه عيناً.

إذا تسبب العلاج بموت عبدِ رجل فقير، يعطيه الطبيب عبداً من عبيده. وإذا أدى العلاج إلى فقدان عين العبد، يدفع الطبيب نصف ثمن العبد.

8 نيسان

الرجل الذي ولد مرات عديدة

في هذا اليوم من عام 1973 مات بابلو دييغو خوسيه فرانثيسكو دي باولا خوان نيبوموثيو ماريا دي لوس ريميديوس سيبريانو دي سانتيسيما ترينداد رويث آي بيكاسو، الشهير ببابلو بيكاسو.

وكان قد ولد عام 1881. ويبدو أن الولادة قد أعجبته، لأنه واصل ولاداته.

9 نيسان

الصحة الجيدة

في العام 2011، قال أهالي أيسلندا، للمرة الثانية، لا لأوامر صندوق النقد الدولي.

كان الصندوق والاتحاد الأوروبي قد قررا أنـه علـى سـكان أيسـلندا الثلاثمئة وعشرين ألفاً أن يتحملوا مسؤولية إفلاس المصارف وأن يـدفعوا ديوناً دولية بمعدل اثني عشر ألف يورو للرأس الواحد.

هذه الاشتراكية المعكوسة رُفضت في استفتاءين:

- *هذا الدين ليس ديننا. فلماذا ندفعه نحن؟*

في عالم مجنون بالأزمة المالية، قدمتْ لنا الجزيرة الصغيرة المنسـية في مياه الشمال، لنا جميعاً، درساً صحياً في الحس السليم.

10 نيسـان

تصنيـــع الأمـــراض

صحة جيدة؟ صحة سيئة؟ كل شيء يعتمد على وجهة النظـر. مـن وجهة نظر الصناعات الصيدلانية الكبرى، سوء الصحي صحي جداً.

فالخجل، على سبيل المثال، كان يمكن له أن يكون لطيفاً، وربمـا جـذاباً، إلى أن تحـول إلى مـرض. ففـي العـام 1980، قـررت جمعيـة التحليل النفسي الأمريكية أن الخجل مرض نفسي، وضـمَّته إلى مؤلَّفهـا *المرجع في الاضطرابات الذهنية* الذي يضعه بصورة دورية أساقفة العلم.

ومثل أي مرض، يحتاج الخجـل إلى أدويـة. منـذ أن عُـرف الخـبر، كسبت مختبرات الأدويـة الكـبرى ثـروات طائلـة مـن بيـع آمـال بالشـفاء للمرضى المصابين بهذا *الرهاب الاجتماعي، هذه الحساسية تجاه الناس، هذا المرض الطبي الصارم...*

11 نيسان

مخـاوف الاتصــال

في هذا اليوم من عام 2002، حوّلت حركة انقلابيـة رئـيس رجـال الأعمال إلى رئيس لفنزويلا.

لم يستمر المجد إلا قليلاً. فبعد يومين من ذلك، اندفع الفنزويليون إلى الشوارع، وأعادوا الرئيس الذي انتخبوه بأصواتهم.

قنوات التلفزيون الكبرى وأوسع محطات الإذاعة انتشاراً في فنزويلا احتفلت بالانقلاب، ولكنها لم تعلم بخبر أن الأهالي قـد أعـادوا هوغـو تشافيث إلى مكانه الشرعي.

ولأن الخبر مزعج، عمدت وسائل الاتصال إلى عدم إيصاله.

12 نيســان

صنـاعـة الذنـب

في مثل هذا اليوم من العام 33، بزيادة يوم أو نقصـان يـوم، مـات يسوع الناصري على الصليب.

قضاته حكموا عليه بتهمة الحثّ على *عبـادة الأوثـان والتجـديف والشعوذة البغيضة*.

بعد قرون من ذلك حُكم على هنود أمريكا وهراطقـة أوروبـا بهـذه الجـرائم نفسها، نفسها بالضبط وباسم يسوع الناصري نُفـذت عقوبـات الجلـد والشنق والحرق.

13 نيسان

لم نعرف أن نراك

في العام 2009، في فناء دير ماني في يوكاتان، أقام اثنان وأربعون راهباً فرانسيسكانياً طقوس اعتذار من ثقافة السكان الأصليين:

- *نطلب المعذرة من شعب المايا، لأننا أنكرنا آلهته؛ ولأننا لم نحترم ثقافته، ولأننا فرضنا عليه لقرون طويلة ديانة لا يفهمها، ولأننا شيطنّا ممارساته الدينية ولأننا قلنا وكتبنا أنها من عمل الشيطان وأن آلهتهم هي الشيطان مجسداً.*

قبل أربعة قرون ونصف القرن، في ذلك المكان نفسه، قام راهب فرانسيسكاني آخر، يدعى دييغو دي لاندا، بإحراق كتب المايا التي كانت تحفظ ثمانية قرون من الذاكرة الجماعية.

14 نيسان

الأعظم أم الأكبر؟

في العام 1588، وخلال ساعات قليلة، هُزمتْ *الأرمادا التي لا تقهر*، الأسطول الإسباني الذي كان الأعظم في العالم.

في العام 1628، السفينة السويدية الحربية الأقوى، *فاسا*، والتي وصفت أيضاً بأنها *لا تُقهر*، غرقت في رحلة تدشينها. حتى قبل أن تتوصل إلى الخروج من مرفأ ستوكهولم.

وفي ليلة هذا اليوم من عام 1912، اصطدمت بجبل جليدي أفخم سفن العالم وأكثرها أمناً، والمدعوة بمهانة *تيتانك*. هذا القصر العائم لم

يكن فيه ما يكفي من زوارق النجاة، وكانت دفته صغيرة إلى حدّ تبين أنها غير مجدية، ولم يسمع أحد فيها صفير أجهزة الإنذار بالخطر.

15 نيسان

الرسوم السوداء

في العام 1828، مات فرانثيسكو غويا في المنفى.

لاحقته محاكم التفتيش، فرحلَ إلى فرنسا.

خلال احتضاره، ذكر غويا، بين بعض الكلمات غير المفهومة، بيته المحبب خارج مدريد، على ضفاف نهر مانثاناريس. هناك بقي أفضل ما قدمه، أكثر ما يعبِّر عنه، مرسوماً على الجدران.

بعد موته، بيع ذلك البيت وأعيد بيعه، مع الرسوم وكل شيء، إلى أن جرى أخيراً نزع تلك الأعمال عن الجدران، ونقلها على القماش. قُدِّمت دون طائل في معرض باريس الدولي. لم يهتم أحد برؤيتها، وأقل من ذلك بشراء تلك النبوءات الشرسة للقرن التالي، حيث الألم يقتل اللون ويتبدى الرعب دون حياء بوجهه الحي. متحف البرادو رفض شراءها أيضاً، إلى أن دخلت إليه في العام 1882 كهبة.

اللوحات المسماة *رسوم سوداء* تشغل اليوم إحدى أكثر قاعات المتحف ارتياداً.

– *إنني أرسمها لنفسي* ـ هذا ما قاله.

لم يكن يعلم أنه يرسمها لنا.

16 نيسان

الغناء العميق

في العام 1881، وضع أنطونيو ماتشادو آي ألباريث نقطة النهاية لمختاراته من أغاني فلامنكو القرن التاسع عشر، مقاطع من الغناء الغجري الأندلسي.

مالحة كانت في القديم

امواج البحر كلها

لكن حبيبتي بصقت

فاستحال الموج عذباً

للسمراوات

نظرة غريبة،

تقتل في ساعة

أكثر مما يقتل الموت في سنة.

يوم ولدت انت

سقطت قطعة من السماء.

وما دمت لم تموتي

لن يُغلق ثقب السماء.

الكتاب نُشر، وقُوبل بازدراء. *الغناء العميق* كان جديراً بالازدراء، لأنه غجري. ولكن المقطعات، لأنها غجرية، تحمل الموسيقى في داخلها، في الراحتين والقدمين.

17 نيسان

كاروسو غنى وركض

في هذه الليلة من عام 1906، غنى مغني التينور إنريكو كاروسو أوبرا *كارمن* في صالة تيفولي، بمدينة سان فرانسيسكو.

رافقه التصفيق حتى باب فندق بالاس.

ما نامه معلم الغناء الجميل كان قليلاً. فعند حدّ الفجر، قلبته هزة عنيفة عن السرير.

الزلزال، أسوأ زلزال في تاريخ كاليفورنيا كله، قَتل أكثر من ثلاثة آلاف شخص ودمر نصف بيوت المدينة.

انطلق كاروسو راكضاً ولم يتوقف إلا عند وصوله إلى روما.

18 نيسان

حذار منه

في هذا اليوم، من عام 1955 مات ألبرت إينشتاين.

حتى اليوم، وطوال اثنين وعشرين عاماً، ظل مكتب التحقيقات الفيدرالي، يراقب هاتفه، ويقرأ رسائله ويفحص دلو قمامته.

كانوا يتجسسون على إينشتاين لأنه جاسوس. جاسوس لموسكو: هنا ما يقوله ملفه الشرطي كثير الأوراق. ويقول أيضاً إنه اخترع شعاعاً مُهلكاً وروبوتاً قادراً على قراءة الذهن البشري. ويقول إن إنشتاين كان *عضواً ومشاركاً ومنضوياً إلى أربع وثلاثين جبهة شيوعية ما بين العامين 1937 و1954، وقاد كرئيس شرف أربع منظمات شيوعية، ولا يبدو أنه يمكن لرجل بهذه السوابق أن يتحوّل إلى مواطن أمريكي مخلص.*

حتى الموت لم ينقذه. فقد تواصل التجسس عليه. ولكن ليس من جانب مكتب التحقيقات الفيدرالي هذه المرة، وإنما من زملائه رجال العلم الذين قطعوا دماغه إلى مئتين وأربعين قطعة ودرسوها بحثاً عن تفسير لعبقريته.

لم يجدوا شيئاً.

وكان إينشتاين قد نبّه:

- *الشيء الوحيد غير العادي فيَّ هو فضولي.*

19 نيسان

أبناء السحاب

في العام 1987، أنهت المملكة المغربية بناء الجدار الذي يجتاز الصحراء الغربية من الشمال إلى الجنوب، في أراض لا تتبع لها.

إنه أطول جدار في العالم، لا يتفوق عليه سوى سور الصين القديم. وعلى امتداده بالكامل، يَمنع جنودٌ مغاربة مرور الصحراويين إلى موطنهم المغتصب.

مرات عديدة، ودون جدوى عديدة، أكدت الأمم المتحدة على حق الشعب الصحراوي بتقرير المصير، ودعمت إجراء استفتاء: أن يقرر الأهالي الصحراويون مصيرهم.

ولكن المملكة المغربية رفضت ومازالت ترفض. هذا الرفض يعادل اعترافاً. فبرفضه الحق بالتصويت، يعترف المغرب بأنه سرق بلداً.

منذ أربعين عاماً والصحراويون ينتظرون. إنهم محكومون بالغمِّ المؤبد وبالحنين المؤبد.

إنهم يسمون *أبناء السحاب*، لأنهم منذ الأزل يلاحقون المطر. ويلاحقون أيضاً العدالة، لكنها أكثر تهرباً من ماء الصحراء.

20 نيسان

تصنيع المتبجحين

كانت أكبر حملة عسكرية في تاريخ البحر الكاريبي بأسره. وأكبر خيبة.

مالكو كوبا الذين جُردوا من ملكيتهم وأُبعدوا، أعلنوا من ميامي أنهم سيقاتلون ضد الثورة حتى الموت من أجل استعادة ملكيتهم.

حكومة الولايات المتحدة صدّقتهم، وأثبتت أجهزة مخابراتها، مرة أخرى، أنها لا تستحق هذه التسمية.

في 20 أبريل 1961، بعد ثلاثة أيام من الإنزال في خليج الخنازير، لم يستطع الأبطال المسلحون حتى الأسنان، والمدعومون بسفن وطائرات، إلا أن يستسلموا دون قتال.

21 نيسان

الغاضب

حدث في إسبانيا، في إحدى قرى ريوخا، عند غروب هذا اليوم من عام 2011، خلال موكب ديني تمثيلي في أسبوع الفصح.

حشد مهيب وصامت يرافق خطوات يسوع المسيح والجنود الرومان الذين يقتادونه ضرباً بالسياط.

وكسر صوتٌ الصمت.

ماركوس راباسكو المحمول على كتفي أبيه صرخ بمن كان يتلقى ضربات السياط:

- دافع عن نفسك! دافع عن نفسك!

كان عُمر ماركوس سنتين وأربعة شهور وواحداً وعشرين يوماً.

22 نيسان

يوم الأرض

قال إينشتاين ذات يوم:

- إذا اختفى النحل من العالم، كم عاماً من الحياة يتبقى للأرض؟ أربعة، خمسة أعوام؟ دون نحل لا وجود للتلقيح، ودون تلقيح لا وجود للنباتات، ولا للحيوانات ولا البشر.

قال هذا في حلقة أصدقاء.

الأصدقاء ضحكوا.

هو لم يضحك.

واليوم يتبين أن هنالك نحل أقل في كل يوم.

واليوم، في يوم الأرض، يجدر بنا التنبيه إلى أن ذلك لا يحدث بمشيئة إلهية ولا لعنة شيطانية، وإنما

بسبب اغتيال البراري البدائية وازدهار الغابات الاصطناعية؛

بسبب زراعات التصدير التي تمنع تنوع مملكة النبات؛

بسبب السموم التي تقضي على الأوبئة وتقضي في طريقها على الحياة الطبيعية؛

- بسبب الأسمدة الكيماوية التي تُخصب الأموال وتُجدب الأرض،

وبسبب إشعاعات بعض الآلات التي تفرضها الدعاية على مجتمع الاستهلاك.

23 ابريل

الشهرة مجرد زيف

اليوم، يوم الكتاب، لا مانع من تذكر أن تاريخ الأدب هو تناقض ظاهري دائم.

ما هو الحدث الأكثر شعبية في الكتاب المقدس؟ آدم وحواء يقضمان التفاحة. إنه غير موجود في الكتاب المقدس.

أفلاطون لم يكتب قطّ جملته الشهيرة:

الموتى وحدهم من رأوا كيف تنتهي الحرب.

دون كيخوته دي لامانتشا لم يقل قط:

إنها تنبح يا سانتشو، وهذا إشارة إلى أننا نتقدم.

لم يكتب فولتير ولم يقل أوسع عبارته شهرة:

لا أتفق معك في الرأي، ولكنني أدافع حتى الموت عن حقك بقول رأيك.

جورج فريديتش هيغل لم يكتب قطّ:

النظرية رمادية، وشجرة الحياة خضراء.

شرلوك هولمز لم يقل قطّ:

هذا أساسي يا عزيزي واطسن.

في أي من كتبه أو بياناته، لم يكتب لينين:

الغاية تبرر الوسيلة.

برتولت بريخت ليس مؤلف قصيدته الأوسع شهرة:

في البدء اقتادوا الشيوعيين / ولكني لم أهتم / لأني لم أكن شيوعيا...

خورخي لويس بورخيس لم يكن مؤلف قصيدته المنتشرة:

إذا ما استطعتُ أن أعيش حياتي من جديد / سأحاول اقتراف مزيد من الأخطاء...

24 نيسان

خطر النشر

في العام 2004 كسرتْ حكومة غواتيمالا أول مرة قانون إفلات السلطة من العقاب، واعترفت رسمياً بأن ميرنا ماك قد اغتيلت بأمر من رئاسة البلاد.

كانت ميرنا قد اقترفت بحثاً محظوراً. وعلى الرغم من التهديدات، توغلت في الأدغال والجبال حيث يهيم على وجوههم، منفيين في وطنهم بالذات، السكان الأصليون الناجون من المجازر العسكرية. وجمعت أصواتهم.

في 1989، في مؤتمر علوم اجتماعية شكا انثروبولوجي من الولايات المتحدة من ضغط الجامعات التي تُجبر أساتذتها على إنتاج متواصل.

– *في هذه البلاد* ـ قال ـ *إذا لم تنشر فأنت ميت.*

وميرنا قالت:

– *في بلادي، تموت إذا نشرت.*

وهي نشرت.

فقتلوها طعناً بالسكاكين.

25 نيسان

لا تنقذوني... أرجوكم

في هذا اليوم من عام 1951، جرى اختيار محمد مصدق رئيساً لوزراء إيران، بأغلبية أصوات ساحقة.

كان مصدق قد وعد بأن يعيد إلى إيران البترول الذي يُهدى إلى الإمبراطورية البريطانية، وبدأ بتنفيذ عمله.

ولكن تأميم البترول يمكن أن يؤدي إلى فوضى مناسبة للتدخل الشيوعي. عندئذ أصدر الرئيس إيزنهاور الأمر بالهجوم، وأنقذتْ الولاياتُ المتحدة إيرانَ: في 1953 وقع انقلاب عسكري أرسلَ مصدق إلى السجن، وأرسل إلى المقبرة كثيرين من أنصاره وسلّم للشركات الأمريكية أربعين بالمئة من البترول الذي أممه مصدق.

في العام التالي، بعيداً جداً عن إيران، أصدر الرئيس إيزنهاور الأمر بهجوم آخر، وأنقذتْ الولايات المتحدة غواتيمالا. انقلاب عسكري أطاح بحكومة جاكوب أربنز المنتخبة ديمقراطياً، لأنها أممت أراضيَ لا تزرعها اليونايتد فروت كومباني متسببة بذلك في فوضى ملائمة للتدخل الشيوعي.

ومازالت غواتيمالا تدفع ثمن ذلك الجميل.

26 نيسان

لم يحدث هنا أي شيء

حدث في تشيرنوبل، أوكرانيا، عام 1986.

كانت أخطر كارثة نووية يتعرض لها العالم بأسره حتى ذلك الحين، ولكن العصافير التي هربت والديدان التي غاصت تحت التراب هي الوحيدة التي أخبرت عن المأساة منذ اللحظة الأولى.

الحكومة السوفييتية أصدرت أمر الصمت.

بعد ربع قرن من ذلك، في فوكوشيما، انفجرت عدة مفاعلات نووية، وصمتت الحكومة اليابانية أيضاً وأنكرت *الروايات المثيرة للذعر*.

لقد كان محقاً الصحفي الإنكليزي المجرب كلود كوكبورث حين نصح:

– *لا تصدق شيئاً إلى أن يجري تكذيبه رسمياً*.

27 نيسان

تقلبات الحياة

الحزب المحافظ الذي كان يحكم نيكاراغوا حين اعترف للنساء في هذا اليوم من العام 1837 بحق الإجهاض إن كانت حياتهنّ معرضة للخطر.

بعد مئة وسبعين عاماً من ذلك، في تلك البلاد نفسها، قام المشرعون الذين يقولون إنهم ثوريون ساندينيون بحظر الإجهاض *مهما كانت الظروف*، وهكذا حكموا على النساء الفقيرات بالسجن أو المقبرة.

28 نيسان

يوم ضمان العمل

لا وجود اليوم لما هو أقل ضماناً من العمل. ففي كل مرة يتزايد عدد العمال الذين يستيقظون، كل صباح، متسائلين:

– *كم منا هم الفائضون عن الحاجة؟ من سيشتريني؟*

كثيرون يفقدون العمل وكثيرون يفقدونَ، وهم يعملون، حيواتهم:

كل خمس عشرة ثانية يموت عامل، تغتاله تلك التي يسمونها *حوادث العمل*.

انعدام الضمان العام هو الموضوع المفضل للسياسيين الذين يفككون التاريخ المشترك كي يكسبوا انتخابات. خطر، خطر، يصرخون. في كل ركن يترصد لص، مغتصب، قاتل. ولكن هؤلاء السياسيون لا يشكون قطّ من أن العمل خطير.

وأن اجتياز الشارع خطير، لأنه في كل خمس وعشرين ثانية يموت واحد من المشاة، تغتاله تلك التي يسمونها *حوادث المرور*.

وتناول الطعام خطر، لأن من هو بمنجى من الجوع يمكن له أن يموت مسمماً بالأطعمة الكيماوية.

ومن الخطر التنفس، لأن الهواء النقي في المدن هو، مثله مثل الصمت، مادة ترف.

وخطر أيضاً هي الولادة، لأنه في كل ثلاث ثوانٍ يموت طفل لم يتوصل إلى العيش حتى بلوغ الخامسة من العمر.

29 نيسان

هي لا تنسى

من يعرف ويتعرف على دروب الأدغال الأفريقية؟

من يعرف تجنب اقتراب خطر صيادي العاج والضواري الأخرى المعادية؟

من يتعرف على آثار الأقدام الخاصة والغريبة؟

من يحفظ ذاكرة جمعهم وجميعهن؟

من يُصدر تلك الإشارات التي لا يمكن للبشر سماعها أو فك رموزها؟

تلك الإشارات إلى الإنذار أو العون أو التهديد أو التحية التي تصل إلى أبعد من عشرين كيلومتراً؟

إنها هي، الفيلة الكبرى. الأكبر سناً، الأكثر معرفة. من تمشي على رأس القطيع.

30 نيسان

جولات الذاكرة

مساء هذا اليوم من عام 1977، اجتمعت أول مرة أربع عشرة أماً لأبناء مغيبين.

ومنذ ذلك الحين يجئن معاً، ومعاً يطرقن الأبواب التي لا تُفتح.

- *جميعنا لجميعنا* ـ كن يقلن.

وكن يقلن أيضاً:

- *جميعهم أبناؤنا*.

آلاف وآلاف الأبناء ممن ابتلعتهم الدكتاتورية العسكرية الأرجنتينية وأكثر من خمسمئة طفل جرى توزيعهم كغنيمة حرب.

أيــار / مايـــو

1 ايـار

يـوم العمـال

تقنية الطيران المتبادل: طائر البط الأول الذي يرتفع محلقاً يفتح المجال للثاني، ويشق هذا بدوره الطريق للثالث، ونشاط الثالث يحث الرابع، فيساعد الخامس، واندفاع الخامس يدفع السادس الذي يوفر ريح الطيران للسابع...

حين يتعب طائر البط الذي يشكل رأس المقدمة يتراجع إلى نهاية السرب تاركاً مكانه لآخر يصعد إلى رأس تلك الزاوية التي لها شكل V والتي ترسمها طيور البط في الفضاء. جميعها تمضي متبادلة الأمكنة، إلى الخلف وإلى الأمام؛ وليس بينها من يعتقد أنه فرخ بط خارق لأنه في المقدمة، أو فرخ بط أدنى لأنه يمضي في المؤخرة.

2 ايـار

العملية جرونيمـو

جرونيمو قاد مقاومة هنود الأباتشي في القرن التاسع عشر.

زعيم المغزوّين هذا كانت له على الدوام سمعة سيئة، لأن شجاعته ومكره سببا الجنون للغزاة على امتداد سنوات طويلة. وفي القرن التالي،

كان هو أسوأ السيئين في أفلام الغرب الأمريكي.

وبإتباع هذا التقليد في الأفلام، أطلقت حكومة الولايات المتحدة *عملية جرونيمو* على إعدام أسامة بين لادن، الذي اخترقه الرصاص واختفى في هذا اليوم من العام 2011.

ولكن ما هي علاقة جرونيمو بأسامة بن لادن، الخليفة الهذياني المُصنّع في مختبرات الولايات المتحدة العسكرية؟وهل يشبه جرونيمو ذلك الفزاعة المحترف الذي يعلن أنه سيأكل جميع الأطفال نيئين كلما احتاج رئيس أمريكي إلى مبرر لشن حرب جديدة؟

اختيار الاسم لم يكن بريئاً: إنه يقول إن المحاربين الهنود الذين دافعوا عن كرامتهم وعن أراضيهم ضد الغزو الأجنبي كانوا إرهابيين.

3 ايار

العـــار

في أواخر العام 1979 غزت القوات السوفييتية أفغانستان.

وحسب التوضيحات الرسمية، أراد الغزو الدفاع عن الحكومة العلمانية التي تحاول تحديث البلاد.

وقد كنت أحد أعضاء المحكمة الدولية في ستوكهولم التي اهتمت بالموضوع في العام 1981.

لن أنسى أبداً لحظة ذروة تلك الجلسات.

كان زعيم ديني يقدم شهادته، ممثلاً للأصوليين المسلمين الذين كانوا يُسمون آنذاك «مقاتلو الحرية»، وهم الآن إرهابيون.

ذلك الشيخ المُسن صرخ بصوت مدوٍ:

- الشيوعيون ألحقوا العار ببناتنا! لقد علموهن القراءة والكتابة!

4 ايار

مادامت الليلة متواصلة

في العام 1937 توفي، عن سبعة وعشرين عاماً، نويل روسا.

موسيقي ليل ريو دي جانييرو هذا الذي عرف في حياته شاطئ البحر من خلال الصور وحسب، كتب وغنى أغنيات سامبا في بارات المدينة التي مازالت تغنيها حتى الآن.

في أحد تلك البارات وجده صديقٌ له، في العاشرة صباحاً من ليل السهر.

كان نويل يترنم بأغنية حديثة الولادة.

وعلى المنضدة زجاجتان. إحداهما زجاجة بيرة والأخرى خمرة قصب قوية.

الصديق كان يعرف أن السل الرئوي آخذ بقتله. وقد أنتبه نويل إلى القلق في وجه صديقه، ووجد نفسه مضطراً إلى أن يقدم إليه درساً حول الخصائص الغذائية للبيرة. فأشار إلى زجاجة البيرة قائلاً:

- هذا الشراب يغذي أكثر من طبق طعام جيد.

الصديق الذي لم يقتنع كثيراً أشار إلى زجاجة خمر القصب:

- وهذه؟

فأوضح له نويل:

- ليس لطيفاً الأكل دون جرعة شراب ترافق الطعام.

5 ايـار

مغنياً الـمـن

في العام 1932 سجل نويل روسا أغنية السامبا «مـن يـدفع أكثـر؟» قصة موجزة لبلد أُرسل إلى المزاد.

كم سيكسب المزاود

وهو برازيلي ايضاً

باع في ثلاث صفقات

البرازيل كلها؟

وبعد سنتين من ذلك، رسم انريكي سانتوس ديسيسـبولو في أغنيـة التانغو «كامبالاتشي»، زمن الطفولة في الأرجنتين:

اليوم يبدو ان لا فرق

في ان تكون سوياً او لصاً،

جاهلاً، عالماً، او لاشيء،

كريماً، نصاباً.

هيا وحسب، تقدم واخلز حسب...

6 ايــار

رؤى

انهيار وول ستريت خلّف الصحافي جوناثان تيلوف بلا عمل.

ولكن في العام 2009، بينما كان جوناثـان يُفـرغ مكتبـه في واشـنطن، اكتشف مريم العذراء في لطخة قهوة على منضدته؛ فبدّل هذا الكشف قدره.

في أوج الأزمة، عندما لم يعد هناك من يؤمن بالاقتصاديين، أو بالسياسيين أو بالصحفيين، أكثر من شخص وجد العذراء في ساندويتش جبن، في نبتة هليون أو في صورة شعاعية.

7 أيار

معكرو جو الحفلة

في العام 1954 وجه المتمردون الفيتناميون ضربة قاصمة للعسكريين الفرنسيين في حصنهم المنيع في ديان بيان فو. واضطرت فرنسا المجيدة، بعد قرن من غزوها الاستعماري، إلى الخروج هاربة من فيتنام.

بعد ذلك، جاء دور الولايات المتحدة. أمر لا يُصدق: القوة العظمى الأولى في العالم وفي الفضاء الكوني كله تعرضت أيضاً لمهانة الهزيمة في ذلك البلد الصغير، سيئ التسلح، والذي يسكنه فقراء شديدو الفقر.

فلاح بطيء المشي، قليل الكلام، هو من قاد هاتين المأثرتين.

اسمه هوشي مينه، وكانوا يسمونه *العم هو*.

العم هو لا يشبه إلا قليلاً زعماء ثورات أخرى.

في إحدى المناسبات، رجع مناضلٌ من إحدى القرى وأخبره بأنه لا توجد طريقة لتنظيم أولئك الناس.

- *إنهم بوذيون متخلفون، يقضون النهار كله في التأمل.*

- *ارجع وتأمل* ـ أمره العم هو.

8 ايـار

شيطان جزيرة تسمانيا

مشهور في العالم هذا المسخ الشيطاني، مفتوح الأشداق وذو الأسنان ساحقة العظام.

ولكن شيطان تسمانيا الحقيقي لم يـأتِ مـن الجحـيم: الإمبراطوريـة البريطانية هي التي أبادت سكان تلك الجزيرة المجاورة لأستراليا، بهدف الحضارة النبيل.

الضحية الأخيرة لحرب الغزو الإنكليـزي كـان اسمهـا تروغـانيني. هذه الملكة المجردة من مملكتهـا ماتـت في هـذا اليـوم مـن عـام 1876، ومعها ماتت لغة شعبها وذاكرته.

9 ايـار

ولـد ليجـده

ولد هارولد كارتر في صباح هذا اليوم من عـام 1874، وبعـد نصـف قرن من ذلك عرف سبب مجيئه إلى العالم.

توصل إلى هذا الكشف عندما وجد قبر توت عنخ أمون.

اكتشفه كارتر بقوة العناد المحض، بعد سنوات طويلة من البحـث وهو يصارع يأس ونُذر شؤم خبراء الفرعونيات.

يوم العثور العظيم، جلس عنـد قـدمي ذلـك الفرعـون ذي الحيـاة القصيرة العابرة، ذلك الفتى المحاط بـألف أعجوبـة، وأمضـى سـاعات وساعات بصمت.

وقد رجع إليه مرات كثيرة.

في واحدة من تلك المرات، رأى ما لم يكن قد رآه من قبل: كانت هناك بعض البذور التي سقطت على الأرض.

لقد ظلت تلك البذور ثلاثة آلاف ومئتي عام تنتظر اليد التي ستزرعها.

10 ايار

ما لا يغتفر

الشاعر روكي دالتون كان شاباً وجريئاً في ردّ الجواب. لم يتعلم الصمت ولا الانصياع قط، وكان يمارس توجهاً متحدياً في السخرية وفي الحب.

في ليلة هذا اليوم من عام 1975، قتله برصاصةٍ، وهو نائم، رفاقه في حرب العصابات في السلفادور.

مجرمون: العسكريون الذين يقتلون لمعاقبة الاختلاف لا يقلون إجراماً عن العسكريين الذين يقتلون من أجل تأبيد الظلم.

11 ايار

إنه كل شيء

أوجين فرانسوا فيدوك مات في باريس عام 1857.

منذ أن سطا، وهو في الرابعة عشرة، على مخبز أبيه، صار أوجين لصاً، وبهلواناً، ومسايفاً، وجندياً هارباً من الخدمة، ومهرباً، ومعلم مدرسة مولعاً بالصغيرات، ومعبود المواخير، ورجل أعمال، وواشياً،

وجاسوساً، وخبير إجرام، وخبيراً بعلم القذائف، مديراً للأمن العام، شرطة التحريات الفرنسية، ومؤسس أول وكالة للتحريين الخاصين.

عشرون مرة خاض مبارزات، وهرب من خمسة سجون متحولاً إلى راهبة أو مشوه حرب. كان ساحراً في التنكر، مجرماً متنكراً كشرطي، وشرطياً متنكراً كمجرم، وكان صديقاً لأعدائه وعدواً لأصدقائه.

شرلوك هولمز وتحريون مشهورون آخرون في الأدب الأوروبي يدينون بجزء كبير من مهاراتهم لمكايد تعلمها فيدوك وهو يمارس الجريمة، ثم طبقها بعد ذلك لمكافحة الجريمة.

12 ايار

مقاييس الزلازل الحية

في العام 2008، هز زلزال مدمّر الصين.

في الصين اختُرع جهاز قياس للزلازل قبل تسعة عشر قرناً، ولكن أياً من أجهزة الزلازل لم ينبئ بما هو آت.

من أنبأ به هي الحيوانات. لم يولها العلماء أية أهمية. فقبل أيام من الكارثة، أصاب الجنونُ حشوداً من الضفادع وانطلقت تعدو متقافزة، دون وجهة محددة، وبأقصى سرعة اجتازت شوارع مياوزو ومدن أخرى. أما في حديقة حيوان ووهان، فراحت الفيلة وحمير الوحش تصطدم بقوة بحواجز الأقفاص، وأخذت النمور تزمجر والطواويس تزعق.

13 ايـار

من اجل ان تغني، من اجل ان ترى

من اجل ان ترى عوالم العالم، استبدل عينيك.

من اجل ان تسمع العصافيرُ غناءَكَ، استبدل حنجرتك.

هذا ما يقوله، وهذا ما يعرفه الحكماء الذين ولدوا عند منابع نهر أورينوكو.

14 ايـار

دَيْنُ الآخـــر

في هذا اليوم من عام 1948، ولدت دولة إسرائيل.

بعد أيام قليلة من ذلك، طُرد أكثر من ثمانمئة ألف فلسطيني، ودُمر أكثر من خمسمئة قرية.

هذه القرى، حيث كانت تنمو أشجار الزيتون والتين واللوز وغيرها من الأشجار المثمرة، تقبع مدفونة تحت الطرق السريعة، والمراكز التجارية، وحدائق الملاهي. إنها موتى بلا أسماء. فلجنة الأسماء لدى السلطة الجديدة أعادت تعميد الخارطة.

لم يبق إلا قليل من فلسطين. ومن أجل التهام الخريطة المتمادي تستحضر صكوك ملكية، ممنوحة من التوراة بسخاء، وتُبرر بمعاناة الشعب اليهودي طوال ألفي عام من الملاحقة.

ملاحقة اليهود كانت، على الدوام، عادة أوروبية، ولكن الفلسطينيين هم من يدفعون ديون الآخرين.

15 ايـار

كيلا يكون الغد هو اسم آخر لليوم

في العام 2011، آلاف الشباب المجـردين مـن بيـوتهم ووظـائفهم احتلوا ساحات وشوارع عدة مدن في إسبانيا.

وانتشر السخط تبين أن العافية أشـد نقـلاً للعـدوى مـن الأوبئـة، واجتازت أصوات *الساخطين* الحـدود المرسـومة علـى الخـرائط وهكـذا دوت تلك الأصوات في العالم بأسره:

قالوا لنا: انصرفوا إلى لعنة الشارع! وها نحن فيه.

أطفئ التلفزيون وأشعل الشارع.

يسمونها أزمة، ولكنها احتيال.

لا نقص في الأموال؛ بل زيادة في اللصوص.

الأسواق تحكم. أنا لم أصوت لها.

هم يتخذون القرارات عنا، ومن دوننا.

عبد اقتصادي للإيجار.

إنني أبحث عن حقوقي. هل رآها أحد؟

إذا لم يتركونا نحلم، فلن نتركهم ينامون.

16 ايـار

إلى مستشفى المجانين

أسماك الميرو وأسماك أخرى،

الدلافين،

البجع وطيور الفلامنكو والقطرس،

البنغوينات،

النعام،

دببة الكوالا،

الأورانغتان وقرود أخرى،

الفراشات وحشرات أخرى،

وأقارب كثيرون لنا من مملكة الحيوان تقيم علاقات شذوذ جنسي، إناث مع إناث، وذكور مع ذكور، لبعض الوقت أو بصورة دائمة.

لحسن الحظ أنهم ليسوا بشراً: لقد نجوا من مستشفى المجانين.

فحتى هذا اليوم من العام 1990، كان الشذوذ الجنسي ضمن قائمة الأمراض العقلية لمنظمة الصحة العالمية.

17 ايار

المنـزل البشـري

ها قد مضت على القرن الحادي والعشرين عدة سنوات وهو يتقدم في الزمن، ويبلغ ألف مليون عدد الناس الذين بلا بيت.

بحثاً عن حلّ لهذه المشكلة، يقوم الخبراء بدارسة النموذج المسيحي للقديس سمعان العمودي الذي عاش سبعاً وثلاثين عاماً في عنوان على عمود.

في الصباح، كان القديس سمعان ينزل ليصلي صلواته، وفي الليل يقيد نفسه، في أعلى العمود، كيلا يسقط وهو نائم.

18 ايـار

رحلـة الذاكرة

في العام 1781 جرى تمزيق توباك آمارو بـالفؤوس في وسـط سـاحة السلاح بمدينة كوسكو.

بعد قرنين من ذلك، كان طفل حافي القدمين يُلمع أحذيـةً في ذلـك المكان بالذات حين سأله سائح إن كان يعـرف توبـاك آمـارو. ودون أن يرفع الطفل ماسح الأحذية رأسه، قال أجل إنه يعرفه. وبصـورة سـرية تقريباً، بينما هو يواصل عمله، دمدم:

- إنه الريح.

19 ايـار

النبي مـــارك

كان مارك توين قد أعلن:

- أنا وصلتُ مع المذنب هالي، في عـام 1835. المـذنب سيعود في العام 1910، وآمل أن أذهب معـه. لا شـك أن كلـي القـدرة قـد قـال: «وهنا ظاهرتان شانتان لا تفسير لهما. جاءا معاً، ومعاً يغادران».

المذنب هالي زار الأرض في مثل هذه الأيـام مـن العـام 1910. أمـا توين، فاقد الصبر، فغادر قبل شهر من ذلك.

20 ايار

تفكير سـليم نـادر

في 1998، أصدرت فرنسا قانوناً يختصر ساعات العمل إلى خمس وثلاثين ساعة أسبوعياً.

عمل أقل، حياة أطول: هذا ما حلم به توماس مور في مؤلفه *يوتوبيا*، ولكن كان لا بد من الانتظار خمسة قرون كي تتجرأ أمةٌ أخيراً على اقتراف مثل ذلك الفعل الذي ينم عن حس سليم.

ففي نهاية المطاف، ما هي فائدة الآلات ما لم تختصر وقت العمل وتوسع مجالات حريتنا؟ ولماذا على التطور التكنولوجي أن يهدي إلينا بطالة وغماً؟

لمرة واحدة، كان هناك بلد، على الأقل، تجرأ على تحدي الحيف.

ولكن التفكير السليم لم يدم طويلاً. فقانون الخمس والثلاثين ساعة مات بعد عشر سنوات.

21 ايار

يوم التنوع الثقافي

في العام 1906، وصل قزم صياد من أدغال الكونغو إلى حديقة حيوان برونكس في نيويورك.

سُمي أوتا بينغا، وقد عُرض للجمهور في قفص، إلى جانب قرد أورانغتان وأربعة قردة شمبانزي. كان الخبراء يشرحون للجمهور أن شبيه الإنسان ذاك يمكن أن يكون الحلقة المفقودة، وكي يؤكدوا هذه الشكوك عرضوه برفقة إخوته ذوي الوبر الكثيف.

بعد بعض الوقت، جرى إنقاذ القزم الزنجي على يد الإحسان المسيحي.

لقد فعلوا كل ما هو ممكن، ولكن لم تكن ثمة وسيلة. أوتا بينغا يرفض إنقاذه. فهو لا يتكلم، ويكسر الأطباق على المائدة، ويضرب من يحاول لمسه، ولم يكن قادراً على ممارسة أي عمل، ويظل صامتاً في كورال الكنيسة، ويعضُّ من يرغب في أن تُلتقط له صورة معه.

في نهاية شتاء 1916، بعد عشر سنوات من التدجين، جلس أوتا بينغا إلى جانب النار، تعرى، أحرق الملابس التي أجبروه على لبسها وسدد إلى قلبه المسدس الذي سرقة.

22 ايار

تان تان بين المتوحشين

اليوم، من عام 1907، ولد الرسام البلجيكي هيرجيه، أبو تان تان.

تان تان، بطل تاريخي، جسد فضائل العرق الأبيض الحضارية.

في أشد مغامراته نجاحاً، زار تان تان الكونغو، وكانت لا تزال مُلكية بلجيكية، وهناك ضحك كثيراً من بلاهات الزنوج المضحكة وتسلى بالصيد.

أعدَم خمسة عشر ظبياً، وسلخ قرداً ليتنكر في جلده، وفجر وحيد قرن بحشوة ديناميت وأطلق النار على الأفواه المفتوحة لعدد من التماسيح.

ويقول تان تان إن الفيلة تتكلم الفرنسية أفضل من الزنوج. وكي يحمل معه تذكاراً، قتل فيلاً وانتزع نابيه العاجيين.

كانت الرحلة ممتعة جداً.

23 ايـار

تصنيع السـلطة

في العام 1937 مات جون د. روكفلر، مالك العالم، ملك الـبترول، مؤسس ستاندرد أويل كومباني.

عاش قرابة قرن.

عند تشريح الجثة، لم يُعثر على أي وسواس ضمير.

24 ايـار

الهراطقـة والقديسـون

في هذا اليوم من عام 1543، مات نيكولاس كوبرنيكوس.

مات بينما كانت توضـع في التـداول أولى النسـخ مـن كتابـه الـذي يُثبت فيه أن العالم يدور حول الشمس.

الكنيسة حظرت الكتاب، *لأنه زيف ومناقض للكتابات المقدسة*.

وأرسلتْ إلى المحرقة الأسقف جيوردانـو برونـو لأنـه وزعـه، وأجـبرت غاليليو غاليلي على إنكار أنه قرأه وآمن به.

بعد ثلاثة قرون ونصف القرن أعرب الفاتيكان عن ندمه لأنه شـوى جيوردانو برونو حيـاً وأعلـن أنـه سـيقيم، في حدائقـه، تمثـالاً لغـاليليو غاليلي.

ولكنـه في الوقـت الـذي كـان يغفـر بـه لهـؤلاء الهراطقـة، طـوّب الكردينال روبرتو بيلارمينو قديساً، القديس روبرتو الذي في السماء، هـو من اتهم برونو وغاليلي وحكم عليهما.

25 ايـار

هرطقـة

في العـام 325، وفي مدينـة نيقيـة، عُقـد المجمـع المسـكوني الأول للمسيحية الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين الأول.

خلال الشهور الثلاثة التي تواصل فيهـا المجمـع، صـادق ثلاثمئـة أسقف على بعض العقائد الضرورية للنضـال ضـد الهرطقـة، وقـرروا أن كلمـة *herejía* (*هرطقـة*)، المشـتقة مـن *haíresis* اليونانيـة، وتعـني *اختيار*، سيصبح معناها *خطأ*.

أي: يرتكب خطأً كل من يختار بحرية ولا ينصاع لسيادة الإيمان.

26 ايـار

شـرلوك هولمز مات مرتين

ميتة شرلوك هولمز الأولى حدثت عام 1891. قتله أبوه: الكاتب كانون دويل لأنه لم يعد يتحمل أن يكون مخلوقـه المتحـذلق أوسـع شـهرة منـه؛ فعمد إلى رمي شرلوك هولمز من فوق أحد المرتفعات إلى هاوية جبال الألب.

عرف الخبر بعد قليل من ذلك، حين نشرته مجلة *ستراند*. عندئذ ارتدى الجميع ملابس الحـداد، وفقـدت المجلـة قراءهـا وفقـد الكاتـب أصدقاءه.

لم يتأخر طويلاً بعثُ التحري الأوسع شهرة.

لم يجد كانون دويل مفراً من إعادته إلى الحياة.

أما عن ميتة شرلوك هولمز الثانية فلم يُعرف أي شيء. ففي بيته في

شارع بيكر ستريت، لا أحد يردّ على الهاتف. لقد جاءت ساعته، وهذا مؤكد، لأننا مدينون للموت، ولكن ما يلفت الانتباه أن خبر وفاته لم ينشر قطّ على صفحات جريدة *التايم*.

27 ايار

عزيزي المتشرد

في العام 1963 مات فرناندو.

لقد كان حراً. كان الجميع، ولم يكن أحداً.

حين كان يتعب من الركض بقفزات قطّ في الساحة، يمضي متسكعاً في الأزقة مع أصدقائه المغنين وعازفي الجيتارات، ومعهم يتوجه نحو الموسيقى، أينما تصدح، متنقلاً من حفلة إلى حفلة.

لم يكن يتغيب عن الحفلات الموسيقية. ناقد مرهف السمع، يهز ذيله إذا أعجبه ما يسمعه. وإذا لم يعجبه يزمجر.

عندما ألقت عليه القبض دورية الحيوانات المتشردة، حرره جمع من الناس. وعندما صدمته سيارة، عالجه أفضل طبيب، وأدخله إلى عيادته لمواصلة العلاج.

خطايا الجسد التي كان يقترفها في الطريق العام، كانت تُعاقب بركلات تخلفه مضعضعاً، عندئذ تهرع فرق الأطفال في نادي بروغريسو لتقدم له عناية مركزة.

في مدينته، مدينة ريسستينسيا، في مقاطعة تشاكو الأرجنتينية، توجد ثلاثة تماثيل لفرناندو.

28 ايـار

اوشفيتشـيم

في هذا اليوم من عام 2006، تمشى البابا بيندكت، حبر الكنيسة الكاثوليكية الأعلى، في حدائق المدينة التي تسمى، باللغة البولونية، أوشفيتشيم.

عند حدّ معين من النزهة، تبدل المشهد.

مدينة أوشفيتشيم، تسمى باللغة الألمانية أوشفيتز.

وفي أوشفيتز تكلم البابا من مصنع الموت الأوسع شهرة في العالم، وسأل:

– *والرب، أين كان الرب؟*

ولم يخبره أحد بأن الرب لم يبدل عنوانه قطّ.

وتساءل:

– *لماذا ظل الرب صامتاً؟*

ولم يوضح له أحد أن من ظل صامتاً هي الكنيسة، كنيسته التي تتكلم باسم الرب.

29 ايـار

مصاصـو دمـاء

في صيف العام 1725، نهض بيتر بلاغوفتش من تابوته، في قرية كيسلجيفو، وعض تسعةً من أهالي القرية وشرب دمهم. وبأمر من حكومة النمسا، وهي من كانت تحكم آنذاك في تلك الأنحاء، قامت قوات حفظ النظام بقتله بصورة نهائية بغرس وتد خشبي في قلبه.

لقد كان بيتر أول مصاص دماء مُعترف به رسمياً، والأقل شهرة.

أما الأوسع شهرة فهو الكونت دراكولا الذي ولد من ريشة برام ستوكر، عام 1897.

بعد أكثر من قرن من ذلك، تقاعد دراكولا. لم تقلقه أدنى قلق منافسة مصاصي ومصاصات الدماء المتبجحين الذين تُصَنِّعهم هوليود، ولكنه كان يشعر بالغمّ حقاً من مآثر أخرى لا يُعلى عليها.

لم يجد مفراً من التقاعد. لأنه صار يشعر بعقدة نقص لا خلاص منها حيال المتنفذين النهمين الذين يؤسسون مصارف ويُغرقونها ويمصون دم العالم كما لو أنه رقبة.

30 ايار

من المحرقة إلى المذبح

في هذا اليوم من عام 1431، أُحرقت حية فتاة في التاسعة عشرة في السوق القديم بمدينة رُوان.

صعدت إلى منصة الموت وعلى رأسها قبعة كبيرة جداً كُتب عليها:

هرطوقية

مجرمة

مرتدة

وثنية

بعد إحراقها، أُلقي رمادها في نهر السين من أعلى أحد الجسور، كي تحملها المياه بعيداً.

لقد أدانتها الكنيسة الكاثوليكية والمملكة الفرنسية.

كان اسمها جان دارك.

أيعني لكم هذا الاسم شيئاً؟

31 ايـار

غير قابلة للاحتراق

السيدة جيرارديل، صانعة معجزات، أصابت الجمهور الأوروبي بالحَوَل في العام 1820.

كانت تداعب ذراعيها بشموع مشتعلة، وترقص حافية على الموقد وتقلِّبه بيديها، تستحم بألسنة اللهب، وتتغرغر بزيت يغلي، وتبتلع ناراً، وتمضغ جمراً وتبصقه وقد تحول إلى جنيهات إسترلينية... وبعد ذلك العرض الملتهب، تعرض جسدها غير المتأثر، وبشرتها التي بلون الثلج، وتتلقى التصفيق.

- *إنها مجرد خدع* ـ يقول المنتقدون.

أما هي فلم تكن تقول شيئاً.

حزيــران / يونيــو

1 حزيـران

قديسون ذكـور

في العام 2006 حاول حزب الإحسـان والحريـة والتنـوع التسـجيل قانونياً في هولندا.

وقال هذا التجمع السياسي الجديد إنه يمثل *الرجال الذين كرسوا حياتهم الجنسية والإيروتيكية لعلاقات حرة مع أطفال وطفلات*.

وطالب بيان الحزب التأسيسي بتشريع بورنوغرافيا الطفولة وكافـة أشكال العلاقات الجنسية مع القاصرين.

قبل ثمانية أعوام من ذلك، أعلن نشطاء الإحسان والحرية والتنـوع هؤلاء، على الانترنت، عن اليوم العالمي لحب الطفل.

لم يجمع الحزب عدد التواقيع المطلوب، ولم يستطع المشـاركة في أي انتخابات، وفي العام 2010... انتحر

2 حزيران

الهنــود أشخاص

في العام 1537، أصدر البابا باولو الثالث براءة بابوية.

البراءة البابويـة جـاءت صـدمة ضـد مـن، *رغبـة منهم في إشباع*

جشعهم، يتجرؤون على التأكيد أنه يجب توجيه الهنود ليكونوا مطيعين لنا، كما لو أنهم بهائم، بحجة أنهم يجهلون الديانة الكاثوليكية.

ودفاعاً عن سكان العالم الجديد الأصليين أقر *بأنهم بشر حقيقيون، وباعتبارهم بشراً حقيقيين يمكن لهم أن يستخدموا، ويمتلكوا ويستمتعوا بحريتهم بصورة حرة ومشروعة، ويتحكموا بممتلكاتهم، وألا يُحولوا إلى عبيد.*

في أمريكا لم يعلم أحد بهذا القرار.

3 حزيران

انتقام أتاوالبا

كانت قرية تامبو غراندي تنام على فراش من ذهب.

هنالك ذهب تحت البيوت، ولا أحد يدري به.

وصل الخبر مع الأمر بإخلاء القرية. فقد باعت حكومة البيرو القرية كلها لشركة منهاتن مينرالز كوربوريشن.

الجميع سيصبحون الآن مليونيرات، هذا ما قالوه لهم. ولكن لم ينصعْ أحد. في هذا اليوم من العام 2002 عرفت نتيجة الاستفتاء: سكان تامبو غراندي قرروا مواصلة العيش على الأفوكاتو، والمنجا، والليمون وغيرها من ثمار الأرض التي أكتُسبت بالجهد والعمل من الصحراء.

فهم يعرفون جيداً أن الذهب يصيب باللعنة الأمكنة التي يظهر فيها؛ يخلف جبالاً منسوفة بالديناميت وأنهاراً مسممة بمخلفات الشركات

المنجمية، تتضمن من السيانور السام أكثر مما تتضمن من الماء المبارك.

وربما أنهم يعرفون أيضاً أن الذهب يصيب البشر بالجنون، لأن الجوع إلى الذهب يزداد أكثر كلما أكل منه.

في العام 1533، أمر الفاتح الإسباني فرانثيسكو بيثارو بخنق أتاوالبا، ملك البيرو، على الرغم من أن أتاوالبا قدم إليه كل ما طلبه من الذهب.

4 حزيران

ذاكرة المستقبل

حسب ما تعلمناه في المدرسة، اكتشاف تشيلي تم في العام 1536.

الخبر لم يثر استغراب هنود المابوتشي الذين كانوا قد اكتشفوا تشيلي قبل ذلك بثلاثة آلاف عام.

في العام 1563، قاموا هم أنفسهم بمحاصرة حصن الغزاة الإسبان.

كان الحصن على وشك السقوط مدمراً بغضب آلاف الهنود حين صعد القائد لورينثو بيرنال إلى السور وقال صارخاً:

- نحن من سنكسب على المدى الطويل! إذا افتقرنا إلى نساء إسبانيات، لدينا هنا نساؤكم. ومنهن سننجب أبناء يكونون أسياداً عليكم.

ترجم المترجم. واستمع إليه الزعيم الهندي كولوكولو كمن يسمع هطول مطر.

ولم يستطع أن يفهم النبوءة الحزينة.

5 حزيـران

الطبيعة ليست صامتـة

الواقع يرسم طبيعة ميتة.

الكوارث توصف بأنها طبيعية، كما لو أن الطبيعة هي الجـلاد وليس الضحية، بينما المناخ يتحول إلى مجنون يجب تقييده، ونحن أيضاً.

هذا اليوم هو يوم البيئة العـالمي. إنـه يـوم جيـد للاحتفـال بدسـتور الإكوادور الجديد الذي اعترف عام 2008، لأول مرة في تـاريخ العـالم، بالطبيعة كشخصية اعتبارية لها حقوق.

يبدو غريب الوقع هذا الكلام عن أن يكون للطبيعة حقوق، كما لـو أنها شخص. ولكن بالمقابل، يبدو طبيعياً جداً وقع القـول إن لشـركات الولايات المتحدة الكبرى حقوقاً إنسانية. وهي تمتلك هذه الحقوق بقـرار من محكمة العدل العليا منذ العام 1886.

لو كانت الطبيعة مصرفاً لأنقذوها.

6 حزيـران

الجبـال التي كانت

في القرنين الأخيرين جرى قطع رؤوس أربعمئـة وسـبعين جـبلاً في سلسلة جبال الأبالاش الأمريكية، وتسميتها هذه تخليد لـذكرى سـكان المنطقة الأصليين.

لقد أزيح أولئك السكان الأصليون لأنهم يقيمون في أراض خصيبة.

وقد أفرغت الجبال لأنها تحتوي مكامن فحم.

7 حزيـران

الملك الشـاعر

مات نيساهو الكويوتل قبل أن تطأ قدما كولومبس شـواطئ أمريكـا بعشرين عاماً.

كان ملك تيكسكوكو، في وادي المكسيك الفسيح.

وهناك خلّف صوته:

ينكسر، حتى لو كان ذهباً،

يتحطم، حتى لو كان حجر يشب،

يتمزق، حتى لو كان من ريش الكيتزال.

لا أحد منا يعيش إلى الأبد،

وكذلك الأمراء إنما من اجل الموت جاؤوا.

جميعنا سنذهب إلى منطقة السر.

وهل ترانا جئنا إلى الأرض عبثاً؟

ولكننا نخلّف، على الأقل، أغنياتنا.

8 حزيـران

تدنيس المقدسـات

في العام 1904. افتتح مايكل أنجلو عمله البـارع: انتصـب تمثـال داوود في الساحة الرئيسية بمدينة فلورنسا.

شتائم وأحجار انهالت تستنكر ذلك المارد العاري تماماً.

وأجبر مايكل أنجلو على تغطية الفحش بورقة كرمـة، مُفَصَّلة مـن النحـاس.

9 حزيران

منتهكات للمحرمات

في العام 1901، عقدت إليسيا سانتشيث ومارثيلا غراثيا قرانهما في كنيسة القديس جورج، في مدينة لاكورونيا الغاليسية.

إليسيا ومارثيلا كانتا متحابتين سراً. ومن أجل تطبيع الوضع، بزفاف، وكاهن، ومحضر مكتوب، وصور، كان لا بد من اختلاق زوج: تحولت إليسيا إلى ماريو، ارتدت ملابس رجل، قصت شعرها وتكلمت بصوت مختلف.

في ما بعد، حين عُرف الأمر، رفعت كل صحف إسبانيا الصوت حتى السماء حيال *تلك الفضيحة بالغة القذارة، ذلك التصرف غير الأخلاقي الشين*، وانتهزت تلك المناسبة المؤسفة لتبيع كما لم تبع من قبل قط، بينما الكنيسة التي خُدعت بطيب إيمانها، تقدمت بشكوى إلى الشرطة ضد انتهاك الحرمات المقترف.

وانطلقت حملة الصيد.

هربت إليسيا ومارثيلا إلى البرتغال.

وفي أوبورتو زُج بهما في السجن.

حين هربتا من السجن، بدلتا اسميهما وذهبتا في البحر.

وفي مدينة بوينس آيرس ضاعت آثار الهاربتين.

10 حزيران

وبعد قرن من ذلك

في مثل هذه الأيام من عام 2010، افتُتح في بوينس آيرس الجدال حول مشروع قانون تشريع زواج الشاذين جنسياً.

أعداء المشروع أعلنوا حرب *الرب ضد زيجات الجحيم*، ولكن المشروع راح يتغلب على العقبات، على امتداد طريق شائك، إلى أن تحولت الأرجنتين في يوم الخامس عشر من تموز إلى أول بلد أمريكي لاتيني يعترف بالمساواة الكاملة لجميعهن وجميعهم في قوس قزح التنوع الجنسي.

لقد كانت هزيمة للنفاق السائد الذي يدعو إلى العيش منصاعاً والموت كاذباً، وكان هزيمة لمحاكم التفتيش المقدسة التي تُبَدِّل أسماءها ولكن لديها على الدوام حطباً للمحرقة.

11 حزيران

الرجل الذي باع برج إيفل

الكونت فيكتور لوستيغ، نبي عباقرة وول ستريت، سُمي بعدة أسماء وبعدة ألقاب نبالة، أقام في عدة بلدان، وبعدة لغات عرفَ كيف يكذب بكل إخلاص.

في ظهيرة هذا اليوم من عام 1925، كان الكونت يقرأ الجريدة في فندق كريون بباريس حين خطرت له واحدة من تلك الأفكار الطيبة التي تسمح له بقتل الجوع عندما يملّ من لعب البوكر.

وباع برج إيفل.

طبع أوراقاً ومغلفات تحمل شعار مكتب عمدة باريس، وبتواطؤ مهندس معماري صديق اخترع معطيات تقنية تقول إن البرج آيلٌ إلى السقوط بسبب خطأ في البناء لا سبيل إلى إصلاحه.

زار الكونت المرشحين المحتملين واحداً واحداً، ودعاهم إلى شراء ـــ

بسعر بخس ـ آلاف وآلاف أطنان الحديد. كانت المسألة سرية، لأنها تتعلق بأبرز رموز الأمة الفرنسية، ولا بد من تجنب الفضيحة العامة بأي ثمن. جرت عمليات البيع بصمت وبسرعة، لأن انهيار البرج كان وشيكاً جداً.

12 حزيران

تفسير السر الغامض

في العام 2010، اعترفتْ الحربُ ضد أفغانستان بسبب وقوعها: كشف البنتاغون أنه توجد في تلك البلاد مكامن معادن تساوي أكثر من مليون مليون دولار.

وتلك المكامن لا تتضمن طالبان.

إنها تتضمن ذهباً، ونحاساً، وحديداً، وأهم من هذا كله الليتيوم الذي لا غنى عنه في الهواتف الخلوية وأجهزة الكمبيوتر المحمول.

13 حزيران

اضرار جانبية

في مثل هذه الأيام من العام 2010 عُرف أن أعداد الجنود الأمريكيين المنتحرين في تزايد. حالات الانتحار صارت تعادل تقريباً أعداد من يموتون في المعارك.

من أجل حلّ هذه المشكلة، قرر البنتاغون مضاعفة عدد المتخصصين في الصحة الذهنية الذين يشكلون القطاع التعاقدي الأوسع في القوات المسلحة.

العالم آخذ بالتحول إلى ثكنة عسكرية هائلة، والثكنة العسكرية الهائلة آخذة بالتحول إلى مستشفى مجانين بحجم العالم. وفي مستشفى المجانين هذا، من هم المجانين؟ أهم الجنود الذين يقتلون أنفسهم أم الحروب التي تأمرهم بالقتل؟

14 حزيران
الراية قناعاً تنكرياً

في هذا اليوم من العام 1982، خسرت الدكتاتورية الأرجنتينية الحرب. الجنرالات استسلموا بوداعة، دون أن يصابوا ولو بجرح حلاقة ذقن، هؤلاء الجنرالات الذين أقسموا على أن يقدموا حياتهم من أجل استعادة جزر المالوين التي اغتصبتها الإمبراطورية البريطانية.

تقسيم عسكري للعمل: أولئك الأبطال في اغتصاب النساء المقيدات، أولئك الشجعان في التعذيب وفي سرقة أطفال السجينات حديثي الولادة وسرقة كل ما استطاعوا سرقته، انهمكوا في الخطابات الوطنية الحماسية، بينما هم يرسلون إلى المسلخ الشباب المجندين من أشد الأقاليم فقراً، ممن ماتوا في جزر الجنوب البعيدة تلك بالرصاص أو من البرد.

15 حزيران
امرأة تروي

أُخضع عدد من الجنرالات الأرجنتينيين للمحاكمة على مآثرهم التي اقترفوها خلال الدكتاتورية العسكرية.

سيلفيا بَرودي، طالبة متهمة بأنها محتجة مشاكسة، كانت واحدة من الذين اختفت آثارهم إلى الأبد.

سيسيليا، صديقتها المفضلة، قدمت شهادتها أمام المحكمة في العام 2008. تحدثت عن التعذيب الذي تعرضت له في الثكنة العسكرية، وقالت إنها هي من أعطتهم اسم سيلفيا بعد أن لم تعد قادرة على تحمل مزيد من التعذيب كل نهار وكل ليل:

– لقد كنتُ أنا... أنا من أخذتُ الجلادين إلى البيت الذي كانت فيه سيلفيا. أنا رأيتها تخرج بالدفش، بأعقاب البنادق، بالركلات. أنا سمعتها تصرخ.

وعند خروجها من المحكمة، اقترب أحدهم منها وسألها بصوت خافت:

– وبعد ذلك كله، ما الذي فعلتِه كي تبقي على قيد الحياة؟

فردّت عليه، بصوتٍ أشد خفوتاً:

– ومن قال لك إنني على قيد الحياة؟

16 حزيران

لدي شيء أقوله

أوسكار لينيرا واحد من آلاف الفتيان المغيبين الذين اختفت آثارهم في الأرجنتين. وما جرى له بلغة العسكريين، أنه *نُقل.*

بييرو دي مونتي، كان سجيناً معه في الثكنة نفسها، وقد سمع كلماته الأخيرة:

– لدي ما أقوله. أتعلمون شيئاً؟ أنا لم أمارس الحب قطّ. وهم سيقتلونني الآن دون أن أكون قد عرفتُ هذا الشيء.

17 حزيـران

توماسـا لا تدفـع

في العام 1782، حكمت عدالة مدينة كيتو بأنه على توماسا سوريتا أن تدفع الضرائب المتوجبة على أقمشة اشترتها من مدينة غواياكيل.

فالرجال وحدهم كانوا يتمتعون بالقدرة القانونية على البيع والشراء.

- ***تقاضوا المبلغ من زوجي*** - قالت توماسا - ***فالقـانون يعتبرنـا غبيات. وإذا كنا نحن النساء غبيات في قبض النقود، فإننا غبيـات في دفعها أيضاً.***

18 حزيـران

سـوزان لم تدفع أيضاً

الولايات المتحدة الأمريكيـة في مواجهـة سـوزان أنتـوني، القطـاع الشمالي من نيويورك، 18 حزيران 1873.

مـدعي عـام القطـاع ريتشـارد كروليـي: ***في الخـامس مـن نـوفمبر/تشـرين الثـاني 1872، صـوتت سـوزان آ. أنتـوني لمثـل في كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية. في ذلـك الحـين كانـت امـرأة، وأعتقد أنه لا وجـود لشكوك حـول هـذا الأمـر. ولأنـه لا يحـق لهـا التصويت. تعتبر مذنبة بخرق القانون.***

القاضي ورد هانت: ***لقد جرت محاكمـة السـجينة وفـق مـا يقـره القانون.***

سوزان أنتوني: ***أجل، يا صاحب السيادة، ولكـن هـذه القـوانين***

وضعها الرجال، وفسرها رجال ويديرها رجال لمصلحة الرجال وضد النساء.

القاضي ورد هانت: *فتنهض السجينة واقفة. حُكم هذه المحكمة يفرض عليها دفع غرامة مئة دولار إضافة إلى تكاليف المحاكمة.*

سوزان أنتوني: *لن أدفع دولاراً واحداً أبداً.*

19 حزيران

إنذار: دراجات !

– الدراجة فعلت أكثر من أي شيء، وأكثر من الجميع، من أجل تحرر النساء في العالم ـ هذا ما قالته سوزان أنتوني.

وكانت زميلتها في النضال إليزابيث ستانتوس تقول:

– إننا نحن النساء ننطلق، ونحن ندير الدواسة، نحو حق التصويت.

بعض الأطباء، مثل فيليب تايسي، كانوا يُحذرون من أنه يمكن للدراجة أن تسبب الإجهاض والعقم، وكان زملاء آخرون له يؤكدون أن هذه الأداة غير المحتشمة تؤدي إلى الفسق، لأنها تمنح متعة للنساء باحتكاك أجزائهن الحميمة بالمقعد.

والحقيقة أن النساء، بسبب الدراجة، كن يتنقلن على هواهن، يغادرن البيت ويستمتعن بلذة خطر الحرية. وبسبب الدراجة، غادر مشدّ الأسلاك الضاغط خزائن ملابسهن، لأنه يحول دون القدرة على تحريك الدواسة، وذهب إلى المتاحف.

20 حزيران

ذلك العائق

صوتها السوبرانو كان قادراً على منح لون لكل حرف تنطقه، وقد أثارتْ تصفيقاً حماسياً في ريو دي جانييرو.

بعد قليل، في أواخر القرن الثامن عشر، كانت جواكينا لابينها أول مغنية برازيلية تغزو أوروبا.

كارل روديرز، رحالة سويدي مغرم بالأوبرا، استمع إليها في العام 1800، في أحد مسارح لشبونة، وامتدح بحماسة *صوتها البديع، وشخصيتها المتسلطة، وحسها الدرامي العظيم.*

من المؤسف أن لجواكينا بشرة سوداء ــ نبّه روديرز ــ *ولكن هذا العائق يمكن معالجته بمستحضرات التجميل.*

21 حزيران

جميعنا أنت

في العام 2001 بدت مفاجئة مباراة كرة القدم بين فريقي تريفيسو وجنوا.

لاعب فريق تريفيسو، أكيم أومولادي، الأفريقي النيجيري، كان يُقَابل عادة بصفير وزمجرات ساخرة وأغنيات عنصرية في الملاعب الإيطالية.

ولكن الصمت هو الذي ساد في هذا اليوم. فلاعبو فريق تريفيسو العشرة الآخرون لعبوا المباراة ووجوههم مطلية باللون الأسود.

22 حزيـران

خاصرة العالـم

في العام 234 قبـل المسيح، قـام عَـالِمٌ يـدعى إراتوسـتينس بغـرس عصا، في منتصف النهار، بمدينة الإسكندرية، وقاس ظلها.

بعد سنة من ذلك، وفي الساعة نفسـها بالضـبط مـن اليـوم نفسـه، غرس العصا نفسها في مدينة أسوان، وأثبت أنها لم تشكل أي ظل.

استنتج إراتوستينس أن الفرق بين وجود ظل وعدم وجـود أي ظـل يؤكد أن العالم كروي وليس مسطحاً. عندئذ قاس المسافة بين المدينتين، بالخطوة البشرية، وانطلاقاً من تلك المعلومات حاول أن يحسب مقـاس خصر العالم.

أخطأ بتسعين كيلومتراً.

23 حزيـران

نيـــران

في منتصف ليل هذا اليوم، تندلع النيران.

الناس يجتمعون حول المواقد المتعالية.

في هذه الليلة ينظفـون البيـوت والأرواح. يلقـون إلى النـار بالأمتعـة القديمة والرغبات القديمة، أشياء ومشـاعر مسـتنفدة بفعـل الـزمن، مـن أجل أن تولد أخرى جديدة وتجد لها مكاناً.

من شمال العالم انتشرت هذه العادة في كل الأنحـاء. وكانـت علـى الدوام عيداً وثنياً. على الـدوام، إلى أن قـررت الكنيسـة الكاثوليكيـة أن هذه الليلة ستكون ليلة القديس يوحنا.

24 حزيـران

الشـمس

ابتداء من فجر هذا اليوم يقام عيد الشمس، **الإنتي رايمي**، في سهوب وجبال منطقة الأنديز.

في بداية الأزمنة، كانت الأرض والسماء مظلمتين. ولم يكن هناك سوى ليل.

عندما ظهرت المرأة الأولى والرجل الأول من مياه بحيرة تيتيكاكا، ولدت الشمس.

لقد اخترعَ فيركوتشا ـ رب الأرباب ـ الشمسَ كي يتمكن الرجل والمرأة من رؤية أحدهما الآخر.

25 حزيـران

القمـــر

مات الشاعر الصيني لي بو في العام 762، في ليلة مثل هذه.

مات غرقاً.

سقط من المركب عندما خطر له أن يعانق القمر المنعكس في مياه نهر يانغتسي.

كان لي بو قد بحث عن القمر في ليالٍ أخرى:

اشربُ وحيداً.

لا أحد من الأصدقاء قريب مني،

ارفع كاسي،

ادعو القمر

وادعو ظلي.
نحن الآن ثلاثة.
لكن القمر لا يعرف ان يشرب
وظلي لا يعرف إلا محاكاتي.

26 حزيـران
مملكـة العالـم

اليوم هو يوم مناهضة التعذيب

وبسخرية مأساوية، ولدت دكتاتورية الأروغـواي في اليـوم التـالي، عام 1973، وحوّلت البلاد كلها إلى حجرة تعذيب هائلة.

التعذيب ينفع قليلاً أو لا ينفع شـيئاً في انتـزاع معلومـات، ولكنـه كان مفيداً في زرع الخوف، والخوف أجبر الأروغوائيين على أن يعيشـوا صامتين أو كاذبين.

حين كنتُ في المنفى، تلقيت رسالة مغفلة:

من المزعج الكذب، ومزعج أكثر الاعتياد على الكذب.
ولكن الأسوأ من الكذب هو تعليم الكذب.
وأنا لدي ثلاثة أبناء.

27 حزيران
جميعنا مذنبـون

المرجع في التفتيش، وقد نشره ديـوان محـاكم التفتـيش المقدسـة في

القرن الرابع عشر، ينشر قواعد التعذيب، وأهم قاعدة منها تأمر:

يُعذب المتهم الذي يتردد في إجاباته.

28 حزيران

الجحيم

في العام 960 غزا المبشرون المسيحيون اسكنديناقيا، وتوعدوا شعب الفايكنغ: إذا ما ظللتم على عاداتكم الوثنية، ستذهبون إلى الجحيم، حيث تتقد النار الأبدية.

الفايكنغ شكروهم على هذا الخبر الطيب. فقد كانوا يرتجفون من البرد، وليس من الخوف.

29 حزيران

عالمنا عالم الغيب

يقال إنه قد قيل إن هذا اليوم هو يوم القديس بطرس، ويقال إنه هو من يحتفظ بمفاتيح الفردوس.

كيف لأحدنا أن يعرف ذلك.

مصادر واسعة الإطلاع تؤكد أن الفردوس والجحيم ليسا سوى اسمين للعالم، وكل واحد منا يحملهما في أعماقه.

30 حزيران

ولدت مزعجة

في هذا اليوم من العام 1819، جرى في بوينس آيرس تعميد خوانا مانسو.

الماء المقدس أدخلها في طريق الوداعة، ولكن خوانا مانسو لم تكن وديعة قطّ.

فعلى الرغم من الصعاب والعقبات، أسست في الأرجنتين وأروغواي مدارس علمانية ومختلطة، حيث تختلط طفلات مع الأطفال، ولم يكن تدريس الديانة إجبارياً، وكانت العقوبة البدنية محظورة.

كتبتْ أول نص مدرسي للتاريخ الأرجنتيني وعدة مؤلفات أخرى. منها روايةٌ تدين بقسوة النفاق الزوجي.

أسست أول مكتبة عامة في المناطق الداخلية من البلاد.

طلّقت حين لم يكن الطلاق موجوداً.

وكانت صحف بوينس آيرس تستمتع بشتمها.

وعندما ماتت، رفضت الكنيسة منحها مدفناً.

تمــوز / يوليــو

1 تمـوز

الإرهابيون نقصوا واحداً

في العام 2008، قررت الولايات المتحدة شطب اسم نيلسون مانديلا من قائمة الإرهابيين الخطرين.

طوال ستين عاماً، ظل الأفريقي الأوسع شهرة في العـالم جـزءاً مـن تلك القائمة الغامضة.

2 تمـوز

ما قبل تاريخ اولمبي

تصفيق *للاستعراض الانثروبولـوجي* في افتتـاح الألعـاب الأولمبيـة عام 1904، في مدينة سانت لويس الأمريكية.

استُعرض الزنوج والسكان الأصليون والصينيون والأقزام والنساء.

لم يستطع أحد منهم المشاركة في المنافسات الرياضية الـتي بـدأت في اليوم التالي واستمرت خمسة شهور.

فريد لورز، أبيض وفحل، كسب سباق المـاريتون، وكـان المـاريتون هو المسابقة الأوسع شعبية. بعد قليل عُرف أنه قد اجتاز نصف المسـافة في سيارة صديق.

كانت تلك هي آخر عملية غش رياضية بعيدة عن الصناعة الكيميائية.

منذ ذلك الحين صار عالم الرياضة أكثر حداثة.

فالرياضيون ما عادوا يتنافسون وحدهم. بل صارت تتنافس معهم أيضاً الصيدليات التي تتنازع المنافسة.

3 تموز

الحجر في الحفرة

كانت قد مضت ثلاثة شهور منذ أن أصدر الملك جيمس الثاني حظر لعبة الغولف، في العام 1457، ولم يوله أحد من الاسكتلنديين أي اهتمام.

دون طائل كرر العاهل الأمر: من الضروري أن يكرس الشباب أفضل طاقاتهم لفن الرماية الذي لا بد منه للدفاع الوطني، بدلاً من إضاعة الوقت بضرب كرات صغيرة.

ولكن الغولف كانت قد ولدت في حقول اسكتلندا الخضراء، في حوالي العام ألف، حين كان الرعاة يقتلون الضجر بمحاولة إدخال أحجار في جحور الأرانب؛ ومازال هذا التقليد شائعاً لا يُهزم.

في اسكتلندا يوجد أقدم ملعبي غولف في العالم. إنهما ملكية عامة والدخول إليهما مجاني. إنهما نادران في العالم. فالقاعدة العامة أن هذه الرياضة، الخاصة جداً، تنتمي إلى القلة الذين يلتهمونَ المكان كله ويشربون ماءنا.

4 تموز

صليب الجنوب

في هذه الليلة من عام 1799، اكتشف فون هومبولد وإيميه بونبلان صليب الجنوب.

كانا يبحران عبر البحر الفسيح عندما حيّاهما ذلك النجم الذي لم

يرياه من قبل قطّ.

صليب الجنوب كان يشير لهما إلى طريق أمريكا.

لم يكن هومبولد وبونبلان آتيان للغزو. ولا يريدان أخذ أي شيء، بل جاءا لتقديم الكثير. وكثير ما منحنا إياه هذان العالمان المغامران اللذان ساعدانا على معرفة أنفسنا واعتراف بعضنا بالبعض.

بعد سنوات من ذلك، مع انتهاء الرحلة في أعماق الأراضي الأمريكية، رجع هومبولد إلى أوروبا.

إيميه، دون آمادو، اختار البقاء في هذه الأرض التي صارت أرضه.

وحتى نهاية حياته، جمع دون آمادو وصنّف آلاف النباتات المجهولة وأنقذ أعشاباً طبية ضائعة عرفتها تقاليد السكان الأصليين، وأسس صيدليات خضراء مجانية للجميع، حرث، وزرع، وحصد، وربى أبناء ودجاجاً، تعلّم وعَلّم، عانى السجن ومارس محبة الآخر (*ابتداء بالأخريات*، كما كان يقول).

5 تموز

حق الضحك

على حدّ قول التوراة، لم يكن لسليمان، ملك إسرائيل، رأيٌ طيبٌ بالضحك.

- *إنه جنون* ـ كان يقول.

وعن السعادة

- *ما نفعها؟*

ويسوع، بحسب الأناجيل، لم يضحك قطّ.

كان لابد للحق في الضحك، دون أن يُعتبر اقترافاً لخطيئة، أن ينتظر إلى أن يولد في مدينة آسيس، في هذا اليوم من عام 1182، طفل

يدعى فرانسيسكو.

القديس فرانسيسكو دي آسيس ولد مبتسماً، وبعد سنوات وجّه تلاميذه الرهبان:

-كونوا بشوشين. احذروا من الظهور تعساء، غاضبين، منافقين...

6 تمـوز

اخدعنـي

في هذا اليوم من عام 1810، عُمِّد في كونيكتيكت طفل يدعى فينياس بارنوم.

وحين صار كبيراً، أسس السيرك الأشهر بين السيركات.

بدأ السيرك كأنه متحف غرائب ومسوخ، تتوافد إليه الحشود.

ينحنون أمام عبدة عمياء، عمرها 161 عاماً، وكانت قد أرضعت جورج واشنطن.

يقبّلون يد نابليون بونابرت، طوله 64 سنتمتراً.

ويتأكدون من الالتصاق التام للأخوين السياميين تشانج وإنج، ومن أن لحوريات بحر السير أذيال أسماك حقيقية.

كان بارنوم أشد الرجال المحسودين من جانب السياسيين المحترفين في كل الأزمنة. فقد نقل إلى الممارسة العملية، أفضل من الجميع، اكتشافه الكبير: *الناس يحبون أن نخدعهم.*

7 تمـوز

هوس فريـدا

في العام 1954 جابت مظاهرة شيوعية شوارع مدينة مكسيكو.

وشاركت فيها فريدا كالو، على كرسي ذي عجلات.

كانت تلك هي آخر مرة رؤيت فيها حية.

فقد ماتت، دون ضجة، بعد فترة قصيرة.

ومضت سنوات عديدة إلى أن أعاد إيقاظَها هُوس فريدا، بصخب رهيب.

أهو انبعاث أم تجارة؟ أتستحق ذلك كله فنانة غريبة على النجاح والتجمل، صاحبة صور ذاتية قاسية تُظهرها متصلة الحاجبين وبزغب شارب، تخترقها إبر ودبابيس، ومُجَرَّحة باثنتين وثلاثين عملية جراحية؟

وماذا لو كان ذلك كله أكثر بكثير من مجرد تلاعب تجاري؟ ماذا لو أنه تكريم من الزمن، يحتفل فيه بامرأة قادرة على تحويل الألم إلى لون؟

8 تموز

الزعيم الأبدي

في العام 1994 مات الخالد.

مات، ولكنه لم يمت.

فحسب دستور كوريا الشمالية الذي صاغه هو نفسه، كان ميلاد كيم إيل سونغ في اليوم الأول من عصر الإنسانية الجديد، وكان هو الرئيس الأبدي.

العصر الجديد الذي بدأه هو، يتواصل؛ وهو أيضاً، كيم إيل سونغ، يواصل القيادة من خلال تماثيله التي هي أعلى عمارات في البلاد.

9 تمـوز

شموس يخفيها الليـل

في العام 1909، ولد فيتالينو في شمالي شرق البرازيل.

والأرض القاحلة، حيث لا ينمو شيء، صارت أرضاً مبتلة، كي ينبثق أبناؤها الذين من طين.

في البدء كانت دمى شكّلتها يداه كي ترافق طفولته.

ومع مرور الزمن حوّل الدمى إلى منحوتات صغيرة: منحوتات نمور وصيادين، فلاحين مع فؤوسهم يحفرون الأرض القاسية، قوافل المطرودين من الجفاف، وعازفي الجيتارات، والراقصات، والعاشقين، والمواكب الدينية، والقديسين...

وهكذا راحت أصابع فيتالينو تروي مأساة الناس واحتفالهم.

10 تمـوز

تصنيع روايـات

في هذا اليوم المشؤوم من عام 1844، ظل الفرنسيون بلا شيء يقرؤونه. فمجلة لِسيكل نشرتْ الحلقة الأخيرة من التسعة عشر فصلاً من رواية المغامرات التي كانت تلتهمها فرنسا كلها.

انتهت. والآن؟ إنها *الفرسان الثلاثة*، وقد كانوا في الحقيقة أربعة، من سيقامر بحياته، كل يوم، من أجل شرف الملكة؟

المؤلف، ألكسندر دوماس، كتب ذلك العمل، وثلاثمئة عمل آخر، بإيقاع ستة آلاف كلمة في اليوم. الحاسدون يقولون إن مأثرته الرياضية

الأدبية تلك ما كانت لتتحقق لولا عادته في توقيع صفحات لآخرين، مسروقة من كتب أخرى أو بدفع أجور بائسة لعمال القلم الذين يعملون من أجله.

ربما كانت مآدبه الدائمة التي تُضخم كرشه وتُفرغ جيوبه، تجبره على إنتاج بالجملة لأعمال بالتكليف..

الحكومة الفرنسية دفعت له، مثلاً، مقابل رواية *مونتيفيديو أو طروادة الجديدة*. وكانت صفحاتها مكرسة *للمدافعين الأبطال* عن ذلك الميناء الذي يدعوه أدولف ثيرز *مستعمرتنا في مونتيفيديو*، ولم يكن دوماس يعرفها ولو سماعاً. وكان لا بد للعمل من أن يضفي سمواً ملحمياً على الدفاع عن الميناء في مواجهة رجال البر، أولئك الغاوتشو الحفاة الذين سماهم دوماس *سياط الحضارة المتوحشين*.

11 تموز

تصنيع دموع

في العام 1914، البرازيل بأسرها بكت مع أول تمثيلية إذاعية:

معجون الأسنان كولغيت يقدم...

«بحثاً عن السعادة!»

استُوردت الدراما من كوبا وجرى تكييفها مع الواقع المحلي. الشخصيات تملك فائضاً من الأموال، ولكنهم أناس تعساء. في كل مرة يكونون على وشك بلوغ السعادة، يُفسد القدر القاسي كل شيء. ثلاث سنوات مضت على هذه الحال، حلقة بعد حلقة، لم تكن هنالك ولو بعوضة واحدة تطير عندما تأتي *ساعة الرواية*.

لم يكن هنالك أجهزة مذياع في بعض القرى المخبأة في أعماق البرازيل. ولكن هناك على الدوام من هو مستعد للانطلاق على حصان عدة فراسخ، والاستماع للحلقة، وحفظها جيداً في ذاكرته والعودة خبباً. وعندئذ يروي الفارس ما سمعه. وروايته التي تكون أطول من الأصل، تجتذب حشداً من الجيران للاستمتاع بآخر النكبات بمتعة الفقراء التي لا تقدر بثمن حين يشعرون بالحزن على الأغنياء.

12 تموز

تكريس الهداف

في العام 1949 كان بيير بونيبيرتي هدّاف البطولة الإيطالية ونجمها الأكثر تألقاً.

وحسب ما تقوله الأقوال، ولد مقلوباً، فقد خرجت أولاً قدمه الصغيرة تركل الهواء، ومن المهد بدأ الرحلة نحو مجد كرة القدم.

كان نادي جوفينتوس يدفع له بقرة مقابل كل هدف,

Altri tempi.

(أزمنة أخرى)

13 تموز

هدف القرن

في هذا اليوم من عام 2002 أعلنت الهيئة الأعلى لكرة القدم نتيجة استفتاء عالمي أجرته: *اختر هدف القرن العشرين.*

وقد كسب، بأغلبية ساحقة، هدف دييغو مارادونا في مونديال 1986، حين كان يرقص والكرة ملتصقة بقدمه مخلفاً وراءه ستة لاعبين إنكليز ضائعين على الطريق.

كانت تلك هي الصورة الأخيرة التي رآها مانويل أليا أوليفاريس من الدنيا.

كان عمره أحد عشر عاماً، وفي تلك اللحظة الساحرة انطفأت عيناه إلى الأبد. لقد حفظ الهدف سليماً في ذاكرته، وهو يصفه أفضل من أفضل المعلقين الرياضيين.

منذ ذلك الحين، ومن أجل أن يرى كرة القدم وأشياء أخرى ليست بأهميتها، يطلب مانويل من أصدقائه أن يعيروه أعينهم.

وبفضلهم، أسس هذا الضرير الكولومبي وترأس نادياً لكرة القدم، فكان ومازال المدير الفني للفريق، يعلق على المباريات في برنامجه الإذاعي، ويغني كي يسلي المستمعين، وفي ساعات فراغه يعمل محامياً.

14 تموز

صندوق الخاسرين

حلمت هيلينا فيياغرا بصندوق هائل.

تفتحه بمفتاح قديم جداً وتنبثق من الصندوق أهداف ضائعة، وضربات جزاء تائهة، وفرق مهزومة، فتدخل الأهداف الضائعة في المرمى، وتصوّب الكرات المنحرفة اتجاهها، ويحتفل المهزومون بانتصارهم. ولا تنتهي تلك المباراة أبداً مادامت الكرة تطير، وكذلك الحلم.

15 تمـوز

طقوس تطهـر

في هذه الليلة من عام 1950، عشية نهائي مونديال كرة القدم، نام مواسير باربوسا والملائكة تهدهد له.

لقد كان الرجل المحبوب الأول في البرازيل.

أما في اليوم التالي، فتحول أفضل حارس مرمى في العالم إلى خائن للوطن: لم يتمكن باربوسا من صدّ هـدف أروغـواي الـذي انتـزع الفـوز العالمي من البرازيل.

بعد ثلاثة عشر عاماً، حـين جـدَّد ملعـب ماراكانـا مرمييـه، أخـذ باربوسا عوارض المرمى حيث دخل ذلك الهدف الذي أذلّه. وقطّع تلـك الأخشاب بفأس وأحرقها محولاً إياها إلى رماد.

ولكن التطهر لم ينقذه من اللعنة.

16 تمـوز

عـدوي العزيـز

أبيض كـان قمـيص البرازيـل. ولم يعـد أبـيضَ قـطّ منـذ أن أثبـت مونديال 1950 أن هذا اللون يثمل النكبة.

مئتا ألف تمثال متحجر في ستاد ماراكانا: كانت المبـاراة النهائيـة قـد انتهت، وصارت أروغواي بطل العالم، ولم يتحرك الجمهور من أمكنته.

اللاعبان الأفضل، أوبدوليو وزيزينهو، تقابلا وهما يمشيان.

تقابلا، تبادلا النظرات.

كانا مختلفين جداً. أوبدوليو المنتصر كان حديداً. وزيزينهو الخاسر

كان مصنوعاً من موسيقى. ولكنهما كانا متشابهين جداً كـذلك. كلاهمـا لعب وهو مصاب طيلة البطولة تقريباً، أحدهما كاحلـه متـورم، والآخـر ركبته منتفخة، ولم تُسمع من أي منهما أية شكوى.

في نهاية المباراة، لم يعرفا إن كان عليهما أن يتبادلا لكماتٍ أم عناقاً.

بعد سنوات من ذلك، سألتُ أوبدوليو:

– *هل ترى زيزيهنو؟*

– أجل، أراه بين حين وآخر. نغمض أعيننا ويرى أحدنا الآخر.

17 تمـوز

يوم العدالـة

قالت الملكة:

– *لـديكِ هنـاك مراسـل الملـك. إنــه سـجين الآن، وهـو يُعاقـب. محاكمته لن تبدأ قبـل يـوم الأربعـاء القـادم. وسـيقترفُ جريمتـه في النهاية طبعاً.*

– *وماذا لو لم يقترف الجريمة أبداً؟* ـ سألتها أليس.

(من *أليس عبر المرآة*، الجزء الثاني من *أليس في بلاد العجائـب*، للويس كارول، 1872)

18 تمـوز

التاريخ لعبة نـرد

مئة وعشرون عاماً استغرق بناء معبد الربة أرتميس في افسس وعرف المعبدُ كيف يكون أحد عجائب الدنيا.

المعبد تحول إلى رماد في ليلة واحدة من العام 356 قبل الميلاد.

لا أحد يعرف من الذي أبدعـه. أمـا اسـم القاتـل بالمقابـل فمـازال يدوي. إنه اروستاتو، الحارق الذي أراد أن يدخل التاريخ، وقد دخله.

19 تمـوز

السائح الأول على شواطئ ريـو دي جانييـرو

الأمير جواو البرتغالي، ابن الملكة ماريا، زار شاطئ ميناء ريـو دي جانييرو، بنصيحة طبية، عام 1810.

تخبط العاهل، في الماء وهو بحذائه ومحشـور في برميـل. فقـد كـان يعاني رعباً من السرطانات ومن الأمواج.

مثاله الجريء لم يُقلد. فشواطئ ريو كانت مزبلة قذرة، حيث يُفرغ العبيد، في الليل، فضلات أسيادهم.

في ما بعد، عندما ولد القرن العشرون، صار بإمكان الميـاه أن تـوفر حمامات بحر أفضل بكثير، ولكن أجل: كان هنـاك فاصـل جيـد بـين السيدات والسادة، مثلما تتطلبه قواعد الحشمة.

وكان لا بد من ارتداء الملابس للذهاب إلى الشاطئ. ففـي السـواحل التي صارت اليـوم جغرافيـة للتعـري، كـان الرجـال يـدخلون إلى المـاء متسترين إلى ما تحت الركبتين، والسيدات يخفين أجسادهن الشـاحبة من الرأس حتى القدمين، خوفاً من أن تحوّلهن الشمس إلى سمراوات.

20 تمـوز

المندسـة

في العام 1951، تسببت صورة نُشرت في مجلة **لايف** بضجة في الأوساط المتنورة في نيويورك.

فللمرة الأولى يظهر صفوة رسامي الطليعة الفنية في المدينة مجتمعين: مارك روثكو، جاكسون بولوك، وليم كونينغ وأحد عشر معلماً آخر من معلمي التعبيرية التجريدية.

جميعهم رجال، ولكن تظهر في الصف الخلفي امرأة مجهولة، بمعطف أسود، وقبعة وحقيبة يد.

المصورون لم يخفوا استياءهم حيال ذلك الحضور المضحك.

حاول البعض، دون جدوى، أن يعتذر لوجود المندسة، وامتدحها بالقول:

- *إنها ترسم مثل الرجال.*

اسمها هيدا ستيرن.

21 تمـوز

رائـد الفضاء الآخـر

في هذا اليوم من العام 1969، خصصت صحف العالم قاطبة صفحتها الأولى لصورة القرن: رائد الفضاء مشى على القمر، بخطوات دبٍ، وخلّف عليه أول آثار بشرية.

ولكن بطل المأثرة الرئيسي لم يتلق التهنئة التي يستحقها.

فيرنر فون براون هو من اخترع وأطلق تلك المركبة الفضائية.

قبل أن ينطلق في غزو الفضاء لحساب الولايات المتحدة، كان فون

براون قد دفع قُدماً عملية غزو أوروبا لحساب ألمانيا.

هذا المهندس والضابط في الـ SS، كان العالِم المفضل لدى هتلر.

ولكنه في اليوم التالي لانتهاء الحرب، عرف كيف يقوم بقفزة عجيبة وسقط واقفاً على الضفة الأخرى للبحر المحيط.

وفي الحال تحول إلى وطني في وطنه الجديد، وصار مؤمناً من أتباع طائفة أنجليكانية في تكساس، وبدأ العمل في المختبر الفضائي.

22 تموز

القمر الآخر

لم يكن رواد الفضاء هم أول من وصلوا.

فقبل ألف وثمانمائة عام، كان لوشيانو دي ساموساتا قد زار القمر.

لم يره أحد، ولم يصدقه أحد. ولكنه كتب ذلك باللغة الإغريقية.

فهناك في العام 150، انطلق لوشيانو وبحارته مبحرين انطلاقاً من أعمدة هرقل التي كانت موجودة حيث يوجد الآن مضيق جبل طارق، فحملت عاصفةٌ السفينة وصعدت إلى السماء وألقت بهم على القمر.

في القمر، لا أحد يموت. المسنون الهرمون جداً يذوبون في الهواء. والقمريون يأكلون دخاناً ويتعرقون حليباً. الأثرياء يرتدون ملابس من بلور، والفقراء لا يرتدون أية ملابس. للأثرياء عيون كثيرة، وللفقراء عين واحدة أو بلا أي عين.

والقمريون يرون، في مرآة، كل ما يفعله الأرضيون. وطيلة الوقت الذي استمرته الزيارة، تلقى لوشيانو وبحارته أخبار أثينا كلها يوماً بعد يوم.

23 تمـوز

توائـــم

في العام 1944، في فردوس بريتون وودز السـياحي، تأكـد الحبَـل بأخوين توءمين تحتاج إليهما الإنسانية.

أحدهما سيُسمى صندوق النقد الدولي والآخر البنك الدولي.

وكلاهما، مثل رومولو وريمو، أرضعته ذئبة، وفي مدينـة واشـنطن، على مقربة من البيت الأبيض، وجدا مقراً لإقامتهما.

منذ ذلك الحين وهما يحكمان حكومات العالم. وفي بلدان لم يُصَوِّت لهما أحد فيها، يفرض التوءمـان واجـب الطاعـة كحتميـة مـن القـدر: يراقبان، يهددان، يعاقبان، يُجريان اختبارات:

– *هل أحسنت السلوك؟ هل قمت بواجباتك؟*

24 تمـوز

ملعونـة الخطايا

باللغة الآرامية التي كان يتكلمها يسوع وحواريـوه، الكلمـة نفسـها تعني *ديون* وتعني *خطايا*.

بعد ألفيتين مـن ذلـك، صـارت ديـون الفقـراء هـي الخطايـا الـتي تستحق أشد العقوبات. الملكية الخاصة تعاقب المحرومين من الملكية.

25 تمـوز

وصفة من اجل نشر الطاعون

في القرن الرابع عشر، أعلن المتعصبون حراس الإيمـان الكـاثوليكي

الحرب على القطط في المدن الأوروبية.

القطط حيوانات شيطانية، أدوات إبليس، صارت تُصلب، تُرفع على خوازيق، تُسلخ حية أو يُلقى بها إلى النار.

عندئذ تحولت الفئران، وقد تحررت من أسوأ أعدائها، إلى سيدة المدن. والوباء الأسود الذي نشرته الفئران قتل ثلاثين مليون أوروبي.

26 تموز

تُمطر قططاً

في جزيرة بورنيو الكبرى، كانت القطط تأكل السحالي التي تأكل الصراصير، والصراصير تأكل الزنابير التي تأكل بدورها البعوض.

لم يكن الدي. دي. تي وارداً في قائمة الطعام.

في أواسط القرن العشرين. قصفت منظمة الصحة العالمية الجزيرة بشحنات مكثفة من الدي دي تي من أجل مكافحة البعوض، فقضت على البعوض وعلى كل شيء.

حين علمت الفئران أن القطط قد ماتت مسممة أيضاً، غزت الجزيرة، والتهمت ثمار الحقول ونشرت التيفوس وكوارث أخرى.

وحيال هجوم الفئران غير المتوقع، جمع خبراء منظمة الصحة العالمية لجنة الأزمة وقرروا إرسال قطط تُلقى بمظلات.

في هذه الأيام من عام 1960، ظهرت عشرات الهررة في سماء بورنيو.

حطت القطط بنعومة وسط تصفيق حماسي من البشر الذين تجاوزوا الساعدة الإنسانية أحياء.

27 تموز
قاطرة براغ

في هذا اليوم انتهت في هلسنكي دورة الألعاب عام 1952.

إيميل زاتوبك، عدّاء لا يُجارى، له قوة وسرعة قاطرة، كسب ثلاث ميداليات ذهبية.

أعتُبر في بلاده بطلاً قومياً ومُنح رتبة كولونيل في الجيش التشيكوسلوفاكي.

بعد سنوات من ذلك، في العام 1968، أيّد زاتوبك الانتفاضة الشعبية وعارض التدخل السوفيتي.

فتحول الكولونيل إلى كناس شوارع.

28 تموز
وصيـــة

في العام 1890، في رسالة إلى أخيه ثيو، كتب فينسنت فان غوخ:

فلتكن لوحاتي هي التي تتكلم.

قتل نفسه في اليوم التالي.

ومازالت لوحاته تتكلم.

29 تموز
نريد زمناً آخر

على امتداد ثلاثة أيام، عام 1830، ستة آلاف متراس حوّلت مدينة باريس إلى ميدان معركة، وهزمت جنود الملك.

وعندما صار هذا اليوم ليلاً، هشمت الجموع الساعات بالحجارة والرصاص: الساعات الكبيرة التي على الكنائس وعلى معابد أخرى للسلطة.

30 تموز

يوم الصداقة

حسب ما كان يقوله كارلوس فوينتس آمادور، الصديق هو من ينتقدك مواجهة ويمدحك في غيابك.

وحسب ما تقوله التجربة، الصديق الحقيقي هو الصديق في الفصول الأربعة. أما الآخرون فهم أصدقاء صيف، لا أكثر.

31 تموز

الزمن الموعود

في الزمن القديم، حدث تمرد الأشياء.

وحسب ما يعرفه أبناء المايا، قبل الماقبل، انتفضت أدوات المطبخ المهانة: قدور محروقة، وهواوين هرس خربة، وسكاكين مثلمة، وجفنات مكسورة؛ وقد رافق الآلهة تمرد الأشياء ذاك.

بعد زمن طويل من ذلك، في مزارع يوكاتان، قام العبيد المايا الذين يُعاملون كالأشياء بالتمرد على أسيادهم الذين يأمرونهم بضربات السياط على ظهورهم، لأنهم يقولون إن آذانهم في ظهورهم.

في هذه الليلة من عام 1847 اندلعت الحرب. وخلال نصف قرن، احتل العبيد المزارع وأحرقوا وثائق تشريع عبوديتهم وعبودية أبنائهم وعبودية أبناء أبنائهم.

آب / اغسطس

1 آب

أمنــا التي في الأرض

في قرى منطقة الأنديز، تحتفل الأرض الأمّ، الباتشَماما، بعيدها الكبير في هذا اليوم.

يغني أبناؤها ويرقصون في هذا اليوم الذي لا ينتهي، ويقدمون إلى الأرض لقيمات من لذائذ كل مأكولاتهم التي يُحضّرونها من الذرة، ورشفة من المشروبات القوية التي تضمخهم بالسعادة.

وأخيراً يطلبون منها المعذرة عن كثرة الأذى، عن الأراضي المنهوبة، الأراضي المسممة، ويتوسلون إليها ألا تعاقبهم بزلازل، أو جليد، أو جفاف، أو فيضانات، أو غضبات أخرى.

هذا هو أقدم إيمان في كافة أنحاء أمريكا.

وهكذا يُحَيِّي أمّهم الأرض، في تشياباس، أبناء المايا التوخولابال:

أنتِ تمنحيننا الفاصولياء،

وكم هي لذيذة

مع الفلفل، وفي العجة.

ذرةً تمنحيننا، وبنّاً جيداً.

يا أمنا الحبيبة،

احفظينا جيداً، جيداً.

وعسى ألا يخطر لنا أبداً

أن نبيعك.

وهي لا تسكن في السماء. إنها تعيش في أعماق العالم، وهناك تنتظرنا: الأرض التي تمنحنا الأكل هي الأرض التي ستأكلنا.

2 آب

بطل

في هذا اليوم من عام 1980 فقد الملاكم الكولومبي كيد بامبيلي تاجه العالمي بضربة قاضية على الحلبة.

لقد ولد في بالينكي، ذلك الملجأ القديم للعبيد المتمردين؛ وقبل أن يصير بطل العالم عمل في بيع الصحف، ومسح الأحذية، وكان يلاكم، مقابل الطعام، في قرى منسية على الخريطة.

ثمانية أعوام استمر المجد. أكثر من مئة مباراة، لم يُهزم إلا في اثنتي عشرة منها.

وانتهى به الأمر إلى توجيه لكمات إلى ظِلِهِ على الجدار.

3 آب

المحبون

بدأت هذه القصة عندما حسدتْ الآلهةُ العاطفةَ البشرية، وعاقبتْ النساجةَ زين نو وحبيبها الذي نُسي اسمه. قطعتْ الآلهة عليهما العناق الذي يجعل من الاثنين واحداً، وحكمتْ عليهما بالوحدة. منذ ذلك

الحين يعيشان منفصلين بدرب التبانة، النهر السماوي العظيم الذي يحول دون مرورهما.

ولكن مرة في السنة، وخلال ليلة واحدة فقط، الليلة السابعة من القمر السابع، يمكن للمنفصلين أن يلتقيا.

طيور العقعق تساعد. فبجمع أجنحتها تمد جسراً في ليلة اللقاء.

النساجاتُ، والمطرزات، والخياطات في كل أنحاء الصين يتوسلن ألا يهطل المطر.

إذا لم يهطل المطر، تقطع زين نو الطريق. الثياب التي ترتديها، والتي ستخلعها قريباً، هي عملٌ بارع من صنع يديها.

أما إذا هطل المطر، فلا تجيء طيور العقعق، ولا يكون هناك جسر يلمُّ شمل المنفصلين ولا تكون هنالك حفلة على الأرض تحتفي بفنون الحب والإبرة.

4 آب

ثياب تروي القصة

قبل نحو ألفي عام، دُمرت مدينةُ شعبِ مياو الكبرى.

وحسب ما تكشف عنه مخطوطات صينية قديمة، كانت هناك، في السهل الفسيح بين النهر الأصفر ونهر يانغتسي، مدينة *يعيش فيها أناس لهم أجنحة ويسمون مياو.*

يوجد حوالي عشرة ملايين مياو في الصين الحالية. يتكلمون لغة لم تكن لها كتابة قط، ولكنهم يرتدون ملابس تروي عظمتهم الضائعة. بخيوط حرير ينسجون قصة أصولهم وشتاتهم، ولاداتهم وجنائزهم،

حروب الآلهة والبشر، وكذلك قصة المدينة الهائلة التي لم يعد لها وجود.

- إننا نلبس مدينتا - يشرح أحد الشيوخ الأكثر هرماً - البوابة في القلنسوة. الشوارع تذرع العباءة كلها، وعلى الأكتاف تُزدهر بساتيننا.

5 آب

الكاذب الذي ولد ثلاث مرات

في العام 1881، حين لم يكن قد مضى أكثر من شهرين على وجوده في الحياة، كان بينوكيو قد تحول إلى معبود الطفولة الإيطالية.

الكتاب الذي يروي مغامراته كان يباع كما لو أنه كاراميلا.

بينوكيو أبدعه النجار جيبيتو الذي أبدع بدوره على يد الكاتب كارلو كولودي. ما كاد جيبيتو يصنع له يديه، وهما يدان من خشب الصنوبر، حتى طوّح بينوكيو الدمية بباروكة النجار كاشفاً عن رأسه الأصلع. وما كاد يصنع له ساقيه حتى هرب راكضاً وشكاه للشرطة.

كان الكاتب كولودي قد ملّ من إخفاقات ذلك السفيه الذي لا يطاق حين قرر شنقه وتركه معلقاً على غصن شجرة سنديان.

ولكنه لم يجد، بعد قليل، مفراً من إعادته إلى الحياة بعد أن أجبره على ذلك جميع أطفال إيطاليا. فكانت تلك هي ولادته الثانية.

أما الولادة الثالثة فتأخرت سنوات. في العام 1940، عمّده والت ديزني في هوليود. هاجر بينوكيو من هلام عسل ودموع مجمد وعاد إلى الحياة وقد صار طيباً بمعجزة.

6 آب

قنبلة الـرب

في العام 1945، بينما كان هذا اليوم يولد، ماتت هيروشيما.

في التدشين العالمي للقنبلة الذرية، تحوّلت المدينة وسكانها إلى فحم في لحظة واحدة.

الناجون القليلون كانوا يهيمون على وجوههم مبتوري الأطراف، مسرنمين، بين الأنقاض التي يتصاعد منها الدخان. يمضون عراة وعلى أجسادهم حروق ختمتها الملابس التي كانوا يرتدونها لحظة الانفجار. وعلى بقايا الجدران، خلّف وميض القنبلة الذرية ظلالاً مطبوعة لما كان هناك: امرأة بذراعين مرفوعين، رجل، حصان مربوط..

بعد ثلاثة أيام، تحدث الرئيس هاري ترومان عبر الإذاعة.

قال:

- نشكر الرب لأنه وضع القنبلة في أيدينا وليس في أيدي أعدائنا؛ ونتضرع إليه ألا يوجهنا في استخدامها إلا وفقاً لدروبه وغاياته.

7 آب

تجسس عليّ

في 1876 ولدت ماتا هاري.

أسيرةٌ وثيرة كانت ميادين معاركها في الحرب العالمية الأولى. وقادةٌ عسكريون وسياسيون كبار استسلموا لفتنة أسلحتها، واعترفوا لها بأسرارٍ كانت تبيعها لفرنسا، أو ألمانيا أو من يدفع أكثر.

في 1917، حُكم عليها بالإعدام.

أكثر جاسوسة مشتهاة في العالم أرسلت قُبلات وداع لفصيلة الإعدام رمياً بالرصاص.

ثمانية من الجنود الأحد عشر أخطؤوا في إصابة الهدف.

8 آب

ملعونة أمريكا

في هذا اليوم، عام 1553، مات الطبيب والكاتب الإيطالي جيرولامو فراكاستورو.

السفلس هو أحد الأمراض المعدية التي أجرى فراكاستورو بحوثاً حولها، وقد توصل إلى نتيجة أن هذا المرض الأوروبي لم يأتِ من هنود أمريكا.

في أيامنا هذه، فنَّد مواكير سكليار أيضاً، وهو برازيلي، وزميل لفراكاستورو في العلوم والآداب، وكذَّبَ أصل اللعنة الأمريكية المزعوم:

منذ ما قبل غزو العالم الجديد كان الفرنسيون يطلقون على السفلس تسمية *الداء الإيطالي*، بينما يسميه الإيطاليون *الداء الفرنسي*.

الهولنديون والبرتغاليون كانوا يسمونه *المرض الإسباني*.

وكان *مرضاً برتغالياً* عند اليابانيين، و*المرض الألماني* عند البولونيين، و*المرض البولوني* عند الروس.

والفُرس كانوا يرون أنه طاعون الأتراك.

9 آب

يوم السكان الأصليين

ولدت ريغوبيرتا مينتشو في غواتيمالا بعد أربعة قرون ونصف القرن من غزو بيدرو دي ألفارادو، وبعد خمس سنوات من غزو دوايت إيزنهاور لموطنها.

في العام 1982، عندما دمر الجيش جبال المايا، أبيدت أسرة ريغوبيرتا عن بكرة أبيها تقريباً، ومُحيت عن الخريطة القرية التي دُفنتْ فيها سرّتها كي تضرب جذورها في الأرض.

بعد عشر سنوات من ذلك تلقت جائزة نوبل للسلام وصرحت:

- *أتلقى هذه الجائزة كتكريم لشعب المايا، على الرغم من أنها تأتي متأخرة خمسمئة عام.*

المايا شعب صبور. لقد استطاع أن يتجاوز حياً خمسة قرون من المجازر.

إنهم يعرفون أن الزمن، مثل العنكبوت، ينسج ببطء.

10 آب

مانويلات

جميعُهم رجال. ولكن امرأة، مانويلا كانيثاريس، هي من كانت تجندهم وتجمعهم للتآمر في بيتها.

في ليلة التاسع من آب 1809، أمضى الرجال ساعاتٍ وساعات وهم يتجادلون، هذا نعم، وذاك لا، وذاك من يدري، ولم يحسموا أمر الإعلان عن استقلال الإكوادور. وكانوا يؤجلون الموضوع مرة أخرى، ريثما تتوافر ظروف أفضل، عندما واجهتهم مانويلا وصرخت بهم:

جبناء، رعديون، *ولدتم للعبودية*. وفي صباح هذا اليوم، فتحتْ البابَ للزمن الجديد.

مانويلا أخرى، مانويلا إسبيخو، وهي من رائدات استقلال أمريكا أيضاً، كانت أول صحفية في الإكوادور. ولأن هذه المهنة ليست مناسبة للنساء، فقد كانت تنشر بأسماء مستعارة مقالاتها الجريئة ضد عقلية الخنوع التي تهين بلادها.

ومانويلا أخرى، مانويلا ساينث، اكتسبت شهرة أبدية لأنها كانت عشيقة سيمون بوليفار، ولكنها كانت هي نفسها فوق ذلك: امرأة ناضلت السلطة الاستعمارية والسلطة الذكورية ونفاقها.

11 آب

اسـرة

مثلما هو معروف في أفريقيا السوداء وفي أمريكا السكان الأصليين:
قبيلتك هي قريتك كلها، بكل أحيائها وموتاها.
وأقرباؤك لا ينتهون عند حدود البشر.
فأسرتك تتحدثُ إليك أيضاً في فرقعة النار،
وفي صخب الماء المندفع،
وفي تنفس الغابة،
وفي أصوات الرياح،
وفي غضب الرعد،
وفي المطر الذي يُقبِّلك،
وفي غناء الطيور التي تحيي مرورك.

12 آب

رياضيون ورياضيات

في 1928 انتهت دورة الألعاب الأولمبية في أمستردام.

طرازان، الشهير باسم جوني ويسميلير كان بطل السباحة، وأحرزت أروغواي حينذاك بطولة كرة القدم. وأشعلت لأول مرة الشعلة الأولمبية، وظلت مشتعلة فوق برجٍ لترافق الألعاب من البداية حتى النهاية.

ولكن تلك الألعاب كانت تاريخية لأمر مستجد آخر: إنها أول ألعاب أولمبية تشارك فيها النساء.

ففي تاريخ الأولمبيادات كلها، منذ الإغريق وكل من تلاهم، لم يُـر مثل ذلك قط.

في الأولمبيادات الإغريقية كان محظوراً على النساء المشاركة، بل لم يكن بإمكانهن حضور العروض.

ومؤسس الأولمبيادات الحديثة، البارون كوبرتين، عارض الحضور الأنثوي فيها طوال فترة مُلكه:

- *للنساء الظرافة والبيت والأطفال. وللرجال المنافسات الرياضية.*

13 آب

الحق في الشجاعة

في العام 1816 منحت حكومة بوينس أيرس رتبة كولونيل لخوانا أثوردوي، *اعترافاً بجهدها الرجولي*.

فهي من قادت، في حرب الاستقلال، المحاربين الذين انتزعوا جبل بوتوسي من أيدي الإسبان.

كان محظوراً على النساء التدخل في شؤون الحرب، ولكن الضباط الذكور لم يجدوا مفراً من تقبل *شجاعة تلك المرأة الرجولة*.

وبين كثير من العَدْوِ على الخيول، وبعد أن قتلتْ الحرب زوجها وخمسةً من أبنائها، ماتت خوانا أيضاً. ماتت في الفقر، فقيرة بين الفقراء، وألقي بها إلى قبر جماعي.

بعد قرابة قرنين من ذلك، قامت الحكومة الأرجنتينية، برئاسة امرأة، بترقيتها إلى رتبة جنرالة في الجيش، *تكريماً لشجاعتها النسوية*.

14 آب

المهووس بالبعوض

في 1881 كشف الطبيب الكوبي كارلوس ڤينلاي أن الحمى الصفراء، والتي تُسمى أيضاً القيء الأسود، تنتقل عن طريق نوع معين من البعوض الأنثى. وقدم في الوقت نفسه اللقاح الذي يمكنه القضاء على ذلك الوباء.

كارلوس المعروف في الجوار بلقب *المهووس بالبعوض*، شرح اكتشافه أمام أكاديمية العلوم الطبية والفيزيائية والطبيعية في هافانا.

عشرون عاماً تأخر العالم للاهتمام بالأمر.

خلال تلك السنوات العشرين، بينما كان علماء مشهورون من أمكنة مشهورة يتابعون آثاراً زائفة، واصلتْ الحمى الصفراء قتل البشر.

15 آب

الدّرة والتاج

كان وينستون تشرشل قد أعلن:

- من المثير للقلق والاشمئزاز رؤية هذا السيد غاندي، هذا الخبيث المتعصّب الهدام... الحقيقة أنه سيكون علينا، عاجلاً أو آجلاً، أن نواجهه، هو وكلّ من يدعمونه، وأن نسحقهم في نهاية المطاف. فلا فائدة من تهدئة النّمر بإعطائه طعام هر، وليست لدينا أدنى نيّة في التخلي عن أثمن درّة لامعة في تاجنا، في مجد وسلطة الإمبراطورية البريطانية.

ولكن الدّرةَ غادرتْ التاجَ بعد سنوات. ففي هذا اليوم من عام 1947، حققت الهند استقلالها.

الطريق الشاق نحو الحرية بدأ شقه في العام 1930، حين وصل المهاتما غاندي، نحيلاً وشبه عار، إلى شاطئ على المحيط الهندي.

كانت تلك هي مسيرة الملحِ. كانوا قلة قليلة عند بدء انطلاق المسيرة، ولكن حشوداً كبيرة وصلت إلى نقطة النهاية. وتناول كلٌّ منهم حفنة ملح وحملها إلى فمه، وهكذا خرق كلٌّ واحد منهم القانون البريطاني الذي يحظر على الهنود استهلاك ملح بلادهم.

16 آب

البذور الانتحارية

منذ حوالي ثلاثمئة وستين مليون عام والنباتات تُنتج بذوراً مخصّبة تُوَلّد نباتاتٍ جديدة وبذوراً جديدة، ولم تتقاضَ قطُّ أي ثمن مقابل هذه الخدمة التي تقدّمها.

ولكن في العام 1998، مُنحت شركة دلتا آند باين براءة إنتاج وبيع بذور عاقرة، تُجبر المزارع على شراء بذور جديدة لكل موسم. في منتصف شهر آب من عام 2006 استحوذت شركة مونسانتو، ذات الاسم المقدس، على شركة دلتا آند باين، وعلى براءة الاختراع أيضاً.

وهكذا عززت مونسانتو سلطتها الكونية: البذور العاقرة التي تسمى *بذوراً انتحارية* تشكل التجارة بالغة الربحية ذلك أنها تفرض أيضاً شراء مبيد الأعشاب، ومضادات الأوبئة وسموم أخرى من شركة المحسنات الجينية نفسها.

في أعياد الفصح لعام 2010، بعد قليل من الزلزال، تلقت هايتي هدية عظيمة من شركة مونسانتو: ستون ألف كيس بذور من إنتاج الصناعات الكيميائية. اجتمع الفلاحون لتسلّم الهبة، وأحرقوا تلك الأكياس كلها في محرقة هائلة.

17 آب

امرأة خطيرة

في العام 1893 ولدت ماي وست، لحمُ سمكٍ، مصاصةُ دماءٍ شرهة.

في 1927 ذهبتْ إلى السجن، مع كل فرقتها المسرحية، لأنها عرضت دعوة إلى المتعة، تحت العنوان الخبيث «جنس»، في مسرحها ببرودوي.

وعندما أنهت التكفير عن *جريمة بذاءتها العامة*، قررت الانتقال من برودوي إلى هوليود، من المسرح إلى السينما، معتقدة أنها وصلت بذلك إلى مملكة الحرية.

ولكن حكومة الولايات المتحدة فرضت على هوليود شهادة سلامة

أخلاقية: كان لا بد منهما طوال ثمانية وثلاثين عاماً من أجل السماح بعرض أي فيلم.

لقد حظر قانون هايز العري، ورقصات الإيحاء الجنسي، والقبلات الشهوانية، وزنا المحارم، والشذوذ الجنسي، وغيرها من الانحرافات الفاسدة التي تتعرض لقدسية الحياة الزوجية. حتى إن أفلام طرازان لم تنج من تلك الرقابة، وكان على بيتي بوب أن ترتدي تنانير طويلة. واستمر تورط ماي وست في المشاكل.

18 آب

شبكة الشبكات

في هذه الأيام من عام 1969، أطلقت جماعة من العلماء مشروعاً جديداً للقوات المسلحة في الولايات المتحدة: سيتم خلق شبكة شبكات لتوصيل وتنسيق عمليات عسكرية على مستوى لم يسبق له مثيل.

في الحرب من أجل السيطرة على الأرض والسّماء، تبين أن ذلك الاختراع، ولم يكن يسمى انترنت بعد، هو انتصار للولايات المتحدة على القوة العظمى المنافسة التي كانت لا تزال تسمى الاتحاد السوفييتي.

مع مرور الوقت، وبصورة غريبة، قدّمت تلك الوسيلة الحربية، ومازالت تقدم، خدمة لأصوات كثيرة داعية للسلام، وهي أصوات كانت ترن في ما مضى في ناقوس خشبي.

19 آب

الحرب على الرقعة

في العام 1575 جرت أول معركة مهمة في تاريخ الشطرنج.

الفائز، ويدعى ليوناردو دي كوتري، تلقى جائزة هي مئة دوقية، وعباءة من فرو قاقم ورسالة تهنئة من الملك الإسباني فيليبه الثاني.

الخاسر، ويدعى روي لوبيث دي سيغورا، كان قد ألف الكتاب الذي أسس لفن معركة الأحجار السوداء ضد البيضاء على ميدان الرقعة المربعة. وفي هذا الكتاب ينصح المؤلف، وقد كان رجل دين، بطوباوية:

– حين تجلس لتلعب، إذا كان النهار مضيئاً واللعب تحت الشمس، حاول أن تكون الشمس في وجه الخصم، لأنها تبهر بصره. وإذا كان ظلام، واللعب يجري بالاستعانة بضوء، حاول أن يكون مصدر الضوء جهة يده اليمنى، لأن ذلك يشوش نظره، ولأن اليد اليمنى التي تتحرك فوق الرقعة تشكل ظلاً، وهكذا لا يرى جيداً أين يحرك الأحجار.

20 آب

اليد العاملة السماوية

في الأدغال الإكوادورية، تنتصب كنيسة ليكتو.

حصن الإيمان ذاك شُيد بأحجار عملاقة، حين بدأت ولادة القرن العشرين.

بما أنه لم تكن هنالك عبودية، أو هذا ما كان يقوله القانون، فقد أنجز العمل هنودٌ أحرار: حملوا الأحجار على ظهورهم، من محجر

بعيد، على بُعد عدة فراسخ من هناك، وفارق عدد منهم الحياة على الطريق ذي الوهاد العميقة والدروب الوعرة الضيقة.

كان الكهنة يُسَعِرون خلاص الخاطئين بأحجار. فكل تعميد يُدفع مقابله عشرون كتلة حجرية، ويُدفع خمسةٌ وعشرون حجراً لكلفة الزفاف. وخمسة أحجار كلفة الدفن. فإذا لم تدفع الأسرة، لا يُدخل الميت إلى المقبرة: يدفن في أرض خبيثة، ومن هناك يمضي مباشرة إلى الجحيم.

21 اب

تقسيم العمل

أجريت في جامعة ستانفورد تجربة كاشفة حول الإنسان وعمله.

جنَّد العلماء النفسانيون بعض الطلاب البيض، جيدي التعليم، وجيدي السلوك، وجيدي الصحة البدنية والذهنية.

إلقاء قطعة عملة معدنية في الهواء هو الذي حدّد من سيكون سَجَّاناً ومن سيكون سجيناً في سجن تخيُّلي أقيم في أقبية الجامعة.

السجناء عزل، وهم أرقَام بلا أسماء. والسجانون أسماء بلا أرقام، ويحملون هراوى.

بدا الأمر لعبة، ولكن منذ اليوم الأول بدأ من يقومون بدور السجانين يشعرون بالمتعة. فالإذن بالذهاب إلى الحمام لا يُمنح إلا بعد كثير من التوسل، والسجناء ينامون عراة على الأرض الإسمنتية، ويدفعون ثمن وقاحة التكلم بصوت عالٍ بزجهم في زنازين العقاب، دون طعام أو شراب.

ضربٌ، شتمٌ، إذلال. لم تستمر التجربة إلا قليلاً. ليس أكثر من أسبوع. في هذا اليوم من عام 1971، اعتبرت منتهية.

22 آب

أفضل يد عاملة

الأسقف الفرنسي جان باتيست لابات ينصح في أحد كتبه المنشور عام 1742:

الأطفال الأفارقة بين العاشرة والخامسة عشرة من العمر هم أفضل العبيد الذين يمكن أخذهم إلى أمريكا. إذ تتوافر الفرصة لتربيتهم بأحسن طريقة مناسبة لأسيادهم. والأطفال ينسون بسهولة أكبر مسقط رأسهم والرذائل السائدة هناك، ويحبون مالكيهم ويكونون أقل ميلاً إلى التمرد من الزنوج الكبار.

هذا المبشر الرحيم يعرف جيداً ما الذي يقوله. ففي الجزر الفرنسية في البحر الكاريبي، كان الأب لابات يقوم بالتعميد، وتقديم خبز القربان، ويتلقى الاعترافات، وبين قداس وقداس يراقب ممتلكاته، فقد كان مالكاً لأراضٍ وعبيد.

23 آب

الوطن المستحيل

في العام 1791 أرسل سيد آخر، مالكُ أراضٍ وعبيد، رسالةً من هايتي.

يقول في الرسالة:

- الزنوج مطيعون جداً، وسيظلون هكذا دوماً.

كانت الرسالة تبحر باتجاه باريس عندما حدث المستحيل: في ليلة 22 ـ 23 آب، ليلة عاصفة، اندلع أكبر تمرد عبيد في تاريخ الإنسانية

انطلاقاً من أعماق الغابات الهايتية. ***وأولئك الزنوج الطيعون جداً*** أذلوا جيش نابليون بونابرت الذي غزا أوروبا من مدريد حتى موسكو.

24 آب

كان يوم إله النار الروماني

وكان العام 79.

بلينيو العجوز يُبحر على رأس أسطول روماني.

لدى دخوله إلى خليج نابولي، رأى دخاناً أسود يتعاظم من بركان فيزوف، ثم رأى شجرة ضخمة تفتح فروعها نحو السماء، وفجأة خيم الليل في أوج النهار. اهتز العالم في ارتجاجات عنيفة، ودَفَنَ وابلُ أحجار نارية مدينة بومباي الاحتفالية.

قبل سنوات قليلة من ذلك، كانت النيران قد دمرت مدينة لوغدونوم، وقد كتب سينيكا:

ليلة واحدة كانت تفصل بين المدينة العظمى والعدم.

لوغدونوم انبعثت من جديد، وهي تسمى اليوم ليون. أما بومباي فلم تختفِ من الوجود: إنها سليمة تحت الرماد. هكذا حفظها البركان الذي قتلها.

25 آب

إنقاذ المدينة الأسيرة

في فجر هذا اليوم من عام 1944، أصاب باريس الجنون.

لقد انتهى الاحتلال النازي.

كانت أولى الدبابات والعربات المصفحة قد دخلت قبل ساعات من ذلك:

- *هل هم أمريكيون؟* ـ تساءل الناس.

ولكن أسماء تلك الدبابات وتلك الصفحات المكتوبة دون إتقان بطلاء أبيض، تقول: *غوادالاخارا، إيبرو، تيرويل، برونيتي، مدريد، دون كيخوته، دوروتي*...

أول محرري باريس كانوا من الجمهوريين الإسبان.

المهزومون في موطنهم قاتلوا من أجل فرنسا.

ظنوا أنه سيتم إنقاذ إسبانيا بعد ذلك.

وكانوا مخطئين.

26 آب

نقاء الإيمان

إيفان الرهيب ولد في العام 1530.

ولكي يربي الشعب على الإيمان المسيحي، أقام في موسكو معبد القديس باسيل الضخم الذي مازال الرمز الجميل للمدينة. ولكي يؤبد سلطته المسيحية أرسل إلى الجحيم بعض الخاطئين من خصومه وأقربائه:

ألقى إلى الكلاب بالأمير أندريه والأسقف ليونيد.

شوى الأمير بيوتر حياً.

مزق بضربات فأس الأمراء ألكسندر، وريبنين، وسنويون، ونيكولاي، وديمتري، وتيليبنيف، ونيوتين.

أغرق في النهر ابن عمه فلاديمير، وزوجة أخيه ألكسندرا وعمته أودوكسيا.

وسمم خمساً من زوجاته السبع.

وبضربات عكازه قتل ابنه المفضل الذي كان يحمل اسمه، لأنه يشبهه كثيراً.

27 آب

نقاء العرق

في 1924 أملى أدولف هتلر، في السجن، كتابه *كفاحي*. وفي يوم مثل هذا اليوم، نقل إلى مُدَونِهِ تعاليمه الأساسية حول تاريخ الإنسانية:

جميع ثقافات الماضي العظيمة اندثرت فقط لأن السلالة المبدعة الأصلية قد ماتت بفعل تسمم الدم.

أربعة عشر عاماً بعد ذلك، أعلن بنيتو موسوليني في كتابه ***بيان عن العرق***:

الطابع البدني والنفسي الأوروبي النقي للإيطاليين يجب ألا يتبدل بأي طريقة. لقد حان الوقت لأن يعلن الإيطاليون عنصريتهم بكل صراحة.

28 آب

«لدي حلم»

في هذا اليوم من عام 1963، وأمام حشد هائل يملأ شوارع واشنطن، دوى صوت القس مارتن لوثر كينغ عالياً:

- أحلمُ بيوم لا يُحاكم فيه أبنائي بسبب لون بشرتهم، أحلم بيوم ينتصب فيه كل سهل وينكمش فيه كل جبل....

حينئذ أصدر مكتب التحقيقات الفيدرالي قراره بأن كينع هو *الزنجي الأشد خطورة على مستقبل هذه الأمة*، ولاحق العديد من الجواسيس أيامه ولياليه خطوة خطوة.

ولكنه واصل التنديد بالإذلال العرقي وبحرب فيتنام التي حوّلت الزنوج إلى لحم للمدافع، وكان يقول دون تردد إن بلاده هي *أكبر مُصّدر للعنف في العالم*.

في العام 1968 هشمت رصاصةٌ وجهه.

29 آب

رجـــل ملـــون

اخي العزيز الأبيض
عند مولدي، كنتُ اسود.
عندما كب

رتُ،كنت اسود.
عندما تلفحني الشمس، اظلُ اسود.
عندما امرضُ، اظل اسود.
وعندما اموت، ساكون اسود.
اما انت بالمقابل،
عندما ولدتَ، كنتَ ورديا.
وعندما كبرت، كنتَ ابيض.
وعندما تلفحُكَ الشمس، تصيرُ احمر.
وعندما تشعر بالبرد، تكون ازرق.

وعندما تخاف، تصير أخضر.
وعندما تمرض، تكون أصفر.
وحين تموت، ستصبح رمادياً.
من هو منا إذاً الأكثر تلوناً؟

(من ليوبولد سينغور، شاعر سنغالي)

30 اغسطس

يوم المختفين المغيبين

مختفون،
موتى بلا قبور،
قبور بلا أسماء،
نساء ورجال ابتلعهم الرعب،
أطفال رضع ما زالو أو كانوا غنيمة حرب.
ومثلهم أيضاً،
الغابات الأصلية،
النجوم في ليل المدن،
عبق الأزهار،
مذاق الفاكهة،
الرسائل المكتوبة يدوياً،
المقاهي القديمة حيث كان هنالك وقت لإضاعة الوقت،
كرة القدم في الشوارع،
حق المشي،
حق التنفس،
الوظائف المضمونة،

التقاعد المضمون،

البيوت بلا قضبان حماية حديدية،

الأبواب بلا أقفال،

الحس المشترك،

والحس العام.

31 آب

ابطـــال

في العام 1943، خلال الحرب العالمية الثانية، كان الجنرال جورج باتون يخطب مشجعاً رجاله على هذا النحو:

أنتم موجودون هنا لأنكم رجال حقيقيون، وجميع الرجال الحقيقيين يحبون الحرب!

الأمريكيون يفخرون بأنهم رجال فحول، ونحن رجال فحول!

أمريكا تحب الرابحين! أمريكا لا تتسامح مع الخاسرين!

أمريكا تحتقر الجبناء! ونحن الأمريكيين نراهن على الربح دوماً!

ولهذا لم تخسر أميركا ولن تخسر حرباً واحدة!

لقد كان معاد التجسد. فقبل أن ينضم إلى جيش الولايات المتحدة، كان محارباً في قرطاج وفي أثينا، وفارساً في البلاط الإنكليزي وماريشالاً عند نابليون بونابرت.

الجنرال باتون مات في اليوم الأخير من عام 1935 عندما صدمته شاحنة.

أيلــول / سبتمبر

1 ايلـول

خونــة

في العام 2009 أقيم في ألمانيا نصب للجنود المنشقين.

بدا غريباً اعتراف كهذا، بين الكثير من النُّصب التي ينثرها تاريخ البشرية في مروره.

ـ نصب للخونة؟ أجل، المنشقون خونة. إنهم خائنون للحروب.

2 ايلـول

مخترع الحروب الوقائية

في العام 1939، غزا هتلر بولونيا لأن بولونيا كانت ستغزو ألمانيا.

وبينما كان نصف مليون جندي ألماني يتدفقون إلى الخريطة البولونية، ومطر من القنابل يهطل من الطائرات، كان هتلر يعرض نظريته في الحروب الوقائية: الوقاية خير من العلاج، وأنا أقتُلُ قبل أن يقتلوني.

لقد أسس هتلر مدرسة. فمنذ ذلك الحين، صارت جميع الحروب هضمية، بلدانٌ تأكل بلداناً، وتقول إنها حروب وقائية.

3 ايلــول

اناس معترفون بالجميل

بعد عام من غزو بولونيا، كان هتلر يواصل هجومه المندفع ويلـتهم نصــف أوروبــا. فقــد ســقطت، أو أوشــكت علــى الســقوط، النمســا، وتشيكوسلوفاكيا، وفنلنديا، والنرويج، والدنمرك، وهولنـدا، وبلجيكـا، وفرنسا، وكانت قد بدأت غـارات القصـف الجـوي الليليـة علـى لنـدن ومدن بريطانية أخرى.

في طبعتها لهذا اليوم من العام 1940 نقلت صحيفة *ABC* الإسبانية خبراً عن أنه تم إسـقاط *مئـة وسـت عشـرة طـائرة معاديـة* ولم تخـفِ سعادتها حيال *النجاح العظيم الذي تحققه هجمات الرايخ.*

وعلى غلاف الجريدة يبتسم الجنراليسمو فرانثيسكو فرانكو ابتسامة المنتصر. فقد كان الاعتراف بالجميل إحدى مزاياه.

4 ايلــول

الوفاء بكلمة شــرف

في العام 1970، كسب سلفادور ألليندي الانتخابات وكُرّس رئيسـاً لتشيلي.

وقال: ـ *سوف أؤمّمُ النحاس.*

وقال: ـ *أنا لن أخرج حياً من هنا.*

وقد وفى بكلمته.

5 ايلـول

كافحْ الفقرَ: اقتلْ فقيراً

في العام 1638 ولد لويس الرابع عشر، ملك فرنسا، الملك الشمس.

وعـاش الملـك الشـمس منهمكـاً بـالحرب ضـد جيرانـه والاهتمـام بباروكته المجعدة، وعباءاته البديعة، وأحذيته ذات الكعوب العالية.

وتحت حكمه، قَتلتْ مجاعتان متتاليتان أكثر من مليوني فرنسي.

لقد عُرف الرقم بفضل اختراع بليز باسكال، قبل نصف قـرن مـن ذلك، الحاسبة الآلية. وعُرف السبب بفضل فـولتير الـذي كتـب بعـد فترة من الزمان:

- السياسة الجيدة تعرف هذا السر: كيف تدفع إلى الموت جوعاً من يتيحون للآخرين العيش.

6 ايلـول

المجتمع الدولي

استدعى الطاهي العجلَ، والخنوص، والنعامة، والعنزة، والغزال، والدجاجـة، البطـة، والأرنـب الـبري، والأرنـب، والحجـل، والـديكَ الرومي، والحمامة، والتدرج، وسمكة النازلي، والسردين، وسمكة القدّ، والتونا، والإخطبوط، والقريديس، والحبار، وحتى السرطان والسلحفاة اللذين كانا آخر الواصلين.

وعندما حضر الجميع، أوضح الطاهي:

- لقد جمعتكم كي أسألكم مع أي صلصة تفضلون أن تؤكلوا.

عندئذ قال أحد المدعوين:

- أنا لا أرغب في أن أؤكل بأي طريقة.
اعتبر الطاهي الاجتماع منتهياً.

7 ايلـول

الزائــر

في هذه الأيام من عام 2000 صاغ مئة وتسعة وعشرون بلداً ميثاق الألفية الذي يُلزمهم بحلّ كل مآسي العالم.

الهدف الوحيد الذي تحقق غير وارِدٍ في القائمة: تضاعف عدد الخبراء اللازمين لإنجاز تلك المهمات الشاقة.

وحسب ما سمعته في سانتو دومنغو، كان أحد أولئك الخبراء يجوب ضواحي المدينة حين توقف أمام حظيرة دجاجات دونيا ماريا دي لاس ميرثيدس هوليس وسألها:

- إذا ما أخبرتك كم دجاجة لديكِ بالضبط، هل تعطينني واحدة منها؟

وشغَل على الفور كمبيوتره المحمول ذا شاشة اللمس، وفعّل برنامج الـ GPS، واتصل عبر الأقمار الاصطناعية، وشَغّل حاسب البيكسل:

- حضرتُكِ تملكين مئة واثنتين وثلاثين دجاجة.

واختطف واحدة فوراً.

لم تلتزم دونيا ماريا دي لاس ميرثيدس الصمت:

- إذا أخبرتُكَ ما هو عملك، هل تعيد إليّ الدجاجة؟ سأقول لكَ إذاً: أنت خبير دولي. وقد عرفتُ ذلك لأنكَ جئت دون أن يستدعيك أحد، ودخلتَ إلى حظيرة دجاجاتي دون طلب الإذن، وأخبرتني بشيء أعرفُه، وتقاضيت مني أجراً مقابل ذلك.

8 ايلـول

يوم محو الأمية

سيرغيبي، شمال شرقي البرازيل: باولو فريري يبـدأ دورةً جديـدة مع جماعة فلاحين شديدي الفقر، يريدون محو أميتهم.

- كيف حالك يا جواو؟

جواو يصمت. يعصر قبعته بين يديه. صمت طويل، وأخيراً يقول:

- لم أستطع النوم. لم أغمض عيني طيلة الليل.

لم يخرج مزيد من الكلام من فمه، إلى أن تلعثم:

- أمس كتبت اسمي أول مرة.

9 ايلول

تماثيـــل

عاش خوسيه أرتيغاس وهو يقاتـل علـى صـهوة حصـان كريـولي، وينام تحت النجوم. وخلال حكمِهِ لشـعبهِ كـان عرشُـه جمجمـة بقـرة، ولباسه عباءة بونتشو وحيدة.

وبلباسه ذاك خرج إلى المنفى، ومات في الفقر.

هناك الآن تمثال شخص سامٍ من البرونز يتأملنا ممتطياً فرساً أصيلاً من علٍ في أهم ميدان في أروغواي.

هـذا البطـل الظـافر المتشـح بالمجـد، مشـابه تمامـاً لكـلّ تماثيـل الشخصيات العسكرية البارزة التي يوقرها الجميع.

ويقول ذلك التمثال إنه خوسيه أرتيغاس.

10 ايلـول

اول إصلاح زراعي في امريكا

حدث في 1815، حين لم تكن أروغواي قد صارت بلـداً بعـد، ولم تكن تُسمى بهذا الاسم.

باسم الشعب المنتفض، صادرٍ خوسيه أرتيغاس *أراضي الأوروبـيين الأشرار والأمريكيين الأشد سوءا*، وأمر بأن توزع تلك الأراضي.

كان ذلك هو أول إصلاح زراعي في أمريكـا، قبـل نصـف قـرن مـن لينكولن، وقبل قرن من إيميليانو ثاباتا.

مشروع إجرامي، هتف السادةُ المهانون، والأدهى أن أرتيغاس نبّه:

- *من هم أشدُّ بؤساً سيكونون المتميزين.*

بعد خمس سنوات، هُزم أرتيغاس، وخرج إلى المنفى، وفي المنفى مات.

الأراضي الموزعة انتُزعت ممن هم أشد بؤساً، ولكن صوت المهزومين مازال يقول:

- *لا أحد أفضل من أحد.*

11 ايلول

يوم لمناهضة الإرهاب

مطلوب القبض على خاطفي بلدان.

مطلوب القبض على خانقي الرواتب ومبيدي الوظائف.

مطلوب القبض على مغتصبي الأرض، ومسممي الماء، ولصوص الهواء.

مطلوب القبض على المتاجرين بخوف الناس.

12 ايلـول

كلمات حيـة

في هذا اليوم من العام 1921 ولد أملكار كـابرال في مستعمرة غينيـا بيساو البرتغالية، غربي أفريقيا.

قاد حركة استقلال غينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر.

من كلماته:

حذار من العسكرة، نحن مناضلون مسلحون ولسنا عسكريين.

سعادة الحياة فوق كلّ شيء.

الأفكار لا تسكن في الرأس وحسب. إنها تسكن كذلك في الـروح والقلب والمعدة وفي كل شيء.

يجب الاستماع إلى الناس، التعلّم من الناس. لا تخفوا شيئاً عن الشعب. لا تقولوا أكاذيب، بل اكشفوا الأكاذيب. لا تضعوا أقنعة للمصاعب والأخطاء والسقطات. ولا تتغنوا بانتصارات سهلة.

في العام 1973 اغتيل أملكار كابرال.

لم يستطع الاحتفال باستقلال البلدين الجديدين اللذين ساهم كثيراً في ولادتهما.

13 ايلـول

الرحالة غير المتحرك

في العـام 1883، إذا لم تخـنـي الـذاكرة، ولـد سـاندوكان، أمـيرٌ وقرصانٌ ونمر ماليزيا.

لقد انبثق ساندوكان من ذهن إميليـو سـالجاري، مثـل شخصيات أخرى رافقتْ طفولتي.

أبو ساندوكان، أي إميليو سالجاري، ولد في فيرونا ولم يبحر قط أبعد من السواحل الإيطالية. لم يذهب قط إلى خليج ماراكايبو، ولا إلى غابات يوكاتان، ولا إلى موانئ العبيد في ساحل العاج، ولم يعرف صيادي اللؤلؤ في جزر الفيليبين، ولا سلاطين الشرق، ولا قراصنة البحر، ولا زرافات أفريقيا، ولا جواميس الغرب الأمريكي البعيد.

أما أنا، وبفضله، كنت هناك وعرفت ما هناك.

حين كانت أمي لا تسمح لي بالخروج إلى أبعد من ناصية البيت، كانت روايات سالجاري تحملني للإبحار في سبعة بحار العالم وبحار إضافية أخرى.

سالجاري عرّفني على ساندوكان وعلى ليدي مريانا، وحبها المستحيل. وعلى يانيث البحار، وعلى القرصان الأسود، وعلى هونوراتا، ابنة عدوه، وعلى أصدقاء كثيرين اختلقهم لينقذوه من الجوع وليرافقوه في وحدته.

14 ايلول

الاستقلال كعلاج وقائي

في ليل هذا اليوم من عام 1821، صاغ عددٌ قليل من السادة محضر استقلال أمريكا الوسطى، ولم يوقّعوه إلا في صباح اليوم التالي.

يقول المحضر، أو يعترف بكلمة أدق، إنه يجب إعلان الاستقلال دون تأخير، *من أجل تجنب النتائج التي قد تكون رهيبة في حالة قيام الشعب نفسه بذلك الإعلان.*

15 ايلـول

تَبَنّ مصرفياً

في العام 2008 انهارت بورصة نيويورك.

أيام هستيرية، أيام تاريخية: المصرفيون الذين هم أخطر لصوص المصارف نهبوا مؤسساتهم، على الرغم من أن كاميرات المراقبة لم تُصَوِّرهم قطّ، ولم ترن أية صفارة إنذار. ومنذ تلك اللحظة لم تعدْ ثمة طريقة لوقف الانهيار العام. العالم بأسره انهار، حتى القمر نفسه أحس بالخوف من أن يفقد عمله ويجد نفسه مضطراً إلى البحث عن سماء أخرى.

سحرة وول ستريت الخبراء في بيع قصور في الهواء، سرقوا ملايين البيوت والوظائف، ولكن مصرفياً واحداً فقط ذهب إلى السجن. أما الآخرون فتوسلوا صارخين طالبين مساعدة صغيرة حباً بالرب وتلقوا، بسبب مزايا مساعيهم، أضخم تعويض لم يُمنح مثله في تاريخ البشرية قطّ.

تلك الأموال الممنوحة تكفي لتقديم الطعام لجميع الجائعين في العالم، مع التحلية متضمنة، من الآن وحتى الأبد.

لم تخطر هذه الفكرة لأحد.

16 ايلـول

حفلة رقص تنكري

في الساعة الثانية من فجر هذا اليوم، من عام 1810، أطلق ميغيل هيدالغو الصرخة التي شقت الطريق إلى استقلال المكسيك.

وحين كانت الصرخة على وشك إكمال قرن من الزمان، في العام

1910، قدّمَ الدكتاتور بورفيريو دياث موعدها يوماً، كي تتوافق مع عيد ميلاده، واحتُفل بالمئوية أعظم احتفال.

مدينة مكسيكو اللمعة والمكيجة استقبلت المدعوين المتميزين من أكثر من ثلاثين بلداً، قبعات عالية، وقبعات ريش، ومراوح يدوية، وقفازات، وحلي ذهبية، وحرير، وخطابات... لجنة السيدات خبأت المتسولين وألبست أطفال الشوارع أحذية. وألبس الهنودُ بناطيلَ، بناطيل وزعت مجاناً، بينما مُنع من الدخول من يرتدون سراويلهم وعباءاتهم التقليدية. وضع دون بورفيريو حجر الأساس لسجن ليكومبيري، ودشن بمهابة مستشفى المجانين العام الذي يتسع لألف مجنون.

استعراضٌ عظيمٌ قدّمَ رواية للتاريخ الوطني. طالب من مدرسة طب الأسنان مثّل شخصية هِرنان كورتيس، المتطوع الأول الذي جاء لتحسين السلالة، وهندي حزين شارك في الاستعراض متنكراً بهيئة موكتيزوما. وبلاط فرنسي، على طريقة لويس السادس عشر، احتل العربة الأنيقة التي انتزعت أكبر قدر من التصفيق.

17 أيلول
محرِّرات مكسيكيات

وانتهت حفلة الذكرى المئوية، وجرى كنس كل تلك القمامة البراقة.

واندلعت الثورة.

التاريخ يتذكر اسمي القائدين الثوريين، إيميليانو ثاباتا وبانتشو بييّا، وفحولَ فحول آخرين. أما النساء اللاتي عشنَ بصمت فقد طواهن النسيان.

بعض المُحاربات القليلات رفضن أن يُمْحَونَ:

النمرة خوانا رامونا التي هاجمت عدة مدن واستولت عليها.

الجنرالة كارمن بيليث التي قادت ثلاثمئة رجل.

معلمة الديناميت أنخيلا خيمنيث التي كانت تقول إنها أنخل خيمنث.

إنكارناثيون ماريس التي قصت ضفيرتيها ووصلت إلى رتبة مساعد ملازم مختبئة تحت واقية القبعة، *كيلا تُرى المرأة في عينيّ*.

أميليا روبليس التي كان عليها أن تتحول إلى اميليو ووصلت إلى رتبة عقيد.

بيترا رويث التي اضطرت إلى التحول إلى بيدرو، ومن أطلقت رصاصاً أكثر من الجميع من أجل فتح بوابات مكسيكو.

روسا بوباديًا المرأة التي رفضت أن تكون رجلاً وقاتلت باسمها في أكثر من مئة معركة.

وماريا كينتيراس التي عقدت حلفاً مع الشيطان ولم تتخلف عن معركة واحدة. كان الرجال يطيعون أوامرها. ومنهم زوجها.

18 ايلول
الدكتورة الأولى

في العام 1915 ماتت سوزان لافليش.

في الخامسة والعشرين من عمرها، كانت سوزان أول امرأة من السكان الأصليين تنال الدكتوراه في الطب في الولايات المتحدة. فحتى ذلك الحين لم يكن يوجد ولو طبيب واحد في المحمية التي يعيش فيها هنود الأوماها في أسوأ حال.

لقد كانت سوزان الأولى والوحيدة، طبيبة الجميع، في الليل والنهار، وحيدة في الثلج وفي الشمس. وكانت قادرة على المواءمة بين الطب الذي تعلمته والحكمة المتوارثة، العلاجات الجامعية ووصفات أجدادها، كي تكون حياة هنود الأوماها أقل ألماً وأطول أمداً.

19 ايلول
الأميرال الأولى

معركة سالامينا انتهت قبل خمسة قرون من ميلاد المسيح.

أرتيميس، أول أميرالة في التاريخ العالمي، كانت قد حذرت خشايار شاه ملك فارس: مضيق الدردنيل مكان سيئ لقتال السفن الفارسية الثقيلة ضد السفن ثلاثية المجاذيف الإغريقية الخفيفة.

لم يصغ لها خشايار شاه.

وفي أوج المعركة، حين كان أسطوله يتعرض لضربات رهيبة، لم يجد مفراً من ترك القيادة بين يدي أرتيميس، وهكذا استطاع أن ينقذ، على الأقل، بعض سفنه وشيئاً من شرفه.

وقد اعترف خشايار شاه بخجل:

- *الرجال صاروا نساء، والنساء صرن رجالاً.*

في أثناء ذلك، وبعيداً عن ذلك المكان، كان طفل يدعى هيرودوت قد أكمل الخامسة من عمره.

بعد بعض الوقت، روى هو نفسه القصة.

20 ايلـول

بطــلات

في عام 2003 جرت المنافسة على البطولة العالمية الثالثة بكرة القدم النسوية.

في نهاية المباريات كانت اللاعبات الألمانيات هنّ البطلات؛ وفي عام 2007 حققن الفوز النهائي أيضاً.

لم يكن الطريق الذي قطعنه وردياً.

فمنذ 1955 حتى 1970 كانت كرة القدم محظورة على النساء الألمانيات.

وقد شرحت جمعية كرة القدم الألمانية السبب:

في الصراع على الكرة، تختفي الأناقة الأنثوية، ويتعرض الجسد والروح للأذى. وعرض الجسد يسيء إلى الحياء.

21 ايلـول

نبي نفسـه

كتب جيرولامو كاردانو طروحات في الجبر والطب، ووجد حلاً لبعض المعادلات التي لا حل لها، ووصف لأول مرة الحمى التيفية، وتقصى أسباب الحساسية، وكان مخترع بعض الأدوات التي مازالت مُستخدمة في الملاحة.

إضافة إلى ذلك كله، كان يطلق بعض النبوءات في ساعات فراغه.

حين استشار بطاقة طالع يسوع الناصري، قالت له إن قدره كان مكتوباً في النجوم، فسجنته محاكم التفتيش المقدسة.

وعند خروج جيرولامو من السجن، أعلن:

- *ساموت في 21 أيلول 1576.*

ومنذ إطلاقه النبوءة توقف عن الأكل.

وقد أصاب.

22 ايلـول

يـوم بلا سـيارات

دعاة حماية البيئة وعديمو مسؤولية آخـرون يقترحـون يومـاً، هـذا اليوم، تختفي فيه السيارات من العالم.

يوم بلا سيارات؟ وماذا إذا انتقلت عدوى هذا اليوم ليصبح كل الأيام؟

لا قدر الله، ولا قدر الشيطان أيضاً.

فالمستشفيات والمقابر ستفقد أكبر عدد من زبائنها.

وستمتلئ الشوارع براكبي دراجات مضحكين ومشاة مثيرين للشفقة.

ولن تتمكن الرئات من استنشاق ألذ السموم مذاقاً.

والأرجل التي نسيت عادة المشي ستتعثر بأي حجر صغير.

وسيشوش الصمت المطبق الآلهة.

وستصبح الأتسترادات السريعة صحارى باعثة على الكآبة.

وستخسـر الإذاعـات والتلفزيونـات والمجـلات والجرائـد معلنيهـا المليونيريين.

وسيُحكم على البلدان البترولية بالبؤس.

والذرة وقصب السكر اللذان تحولا إلى طعـام للسـيارات، سـيعودان إلى الطبق البشري الذليل.

23 ايلـول

إبحـــارات

كانوا يسمونها خلاسيةَ قرطبـة، دون أن يُعـرف السـبب. صـحيح أنها خلاسـية، ولكنهـا ولـدت في ميناء فيراكـروث، وعاشـت في هـذه المدينة منذ ولادتها.

قيل إنها مشعوذة. ففي العام 1600 وبضـع سـنوات، كانـت لمسة يديها تشفي المرضى وتصيب القديسين بالجنون.

وبسبب الريبة بأن الشيطان يسـكنها، حبسـتها محكمـة التفتـيش المقدسة في حصن جزيرة سان خوان دي أولولا.

وفي زنزانتها وجدتْ قطعة فحمٍ خلّفتها نار ما هناك.

راحت تخربش بالفحم على الجدار، ورسمـتْ يـدُها سـفينة، دون إرادتها الراغبة. فانفصلت السـفينة عـن الجـدار وحملـت السـجينة إلى البحر الفسيح.

24 ايلـول

السـاحر المخترع

في العـام 1912 دشـن السـاحر هـوديني، في سـيرك بـوش بـرلين، استعراضه الجديد:

حجرة التعذيب المائي!

الاختراع الأكثر أصالة في هذا العصر وكل العصور!

كان الاَختراع خزاناً مملوءاً بالمـاء حتـى حافتـه، ومغلقـاً بإحكـام،

يغطس فيه هوديني على بطنه وهو مقيد اليدين والكاحلين. ويمكن للجمهور رؤيته من خلال جدار زجاجي، بينما هوديني غاطس في الماء دون تنفس، إلى أن يخرج الغارق من الخزان أخيراً، بعد لحظات طويلة كأنها قرون.

لم يخطر ببال هوديني أن هذه الطريقة في الاختناق ستتحول بعد سنوات طويلة إلى وسيلة التعذيب المفضلة لدى الدكتاتوريات العسكرية الأمريكية اللاتينية، والوسيلة الأكثر امتداحاً لدى الخبير جورج دبليو بوش.

25 ايلول

العالِم الكثير التساؤل

ميغيل إغناسيو ليلو لم يدرس في الجامعة، ولكنه استطاع أن يجمع، كتاباً بعد كتاب، مكتبةً تملأ بيته كله.

في يوم مثل هذا اليوم، عام 1919، أمضى طلابٌ من مدينة توكومان أمسية كاملة في بيت الكتب ذاك، وأرادوا أن يعرفوا ما الذي يفعله دون ميغيل للحفاظ على الكتب في حالة جيدة.

- *كتبي تشمُّ الهواء* ـ أوضح لهم العالِم ـ *إنني أفتحها وأسألها... فأن تقرأ يعني أن تسأل.*

كان دون ميغيل يسأل الكتب، وكان يسأل الأرض أكثر.

ولشغفه في التجوال متسائلاً، جاب على صهوة حصان شمال الأرجنتين، شبراً شبراً، خطوة خطوة، وهكذا عرفَ أسراراً تخفيها

الخريطة، وكلماتٍ وحيوات قديمة، وأغاني الطيور التي تجهلها المدن، والعقاقير البرية التي تقدمها البراري.

وليست قليلة الطيور والنباتات التي عمّدها هو نفسه بمنحها أسماء.

26 ايلول

كيف كان العالم عندما بدا يصير عالماً؟

فلورينتينو اميغينو كان كثير تساؤلٍ آخر.

إنه خبير مستحاثات متحجرة منذ الطفولة. فقد كان لا يزال طفلاً عندما شيّد، في العام 1865، أول مجسم لعالم ما قبل التاريخ في قرية من مقاطعة بوينس آيرس. وذات يوم مثل هذا اليوم، خرج من أعماق كهف عميق محملاً بعظام، وراح يرتب في الشارع وضع فُكوكٍ وفقراتٍ وعظامِ حوض...

– *إنها عظام مسخ هائل من حقبة الميزوسي في عصر حقب الحياة الوسطى* ــ أوضح للجيران ــ *وهذا قديم جداً. لا يمكن لحضراتكم مجرد تخيله.*

ووراء ظهره، لم تستطع دونيا بالينتينا، الجزارة، منع نفسها من الضحك:

– *ما هذا الذي تقوله يا بني... إنها عظام ثعلب!*

وقد كانت كذلك بالفعل.

ولكن ذلك لم يُوهن حماسته.

لقد جمع على امتداد حياته ستين ألف قطعة عظام لتسعة آلاف حيوان منقرض، حقيقي أو مُتخيَّل، وكتب تسعة عشر ألف صفحة استحق عليها الميدالية الذهبية وشهادة شرف من معرض باريس العالمي.

27 ايلول

ابهة محزنة

خلال إحدى عشرة دورة رئاسية ترأسها أنطونيو لوبيث دي سانتا آنا، فقدت المكسيك نصف أراضيها وفقد الرئيس إحدى ساقيه.

نصف المكسيك راح وجبة غداءً للجار الشمالي، بعد بعض المعارك ومقابل خمسة عشر مليون دولار، الساق الشهيدة في المعركة جرى دفنها في هذا اليوم من عام 1842، وسط تشريفات عسكرية، في مقبرة سانتا باولا.

الرئيس الملقب بالبطل، والنسر، والمفضال، والمحارب الخالد، وأبي الوطن، وصاحب السمو والرفعة، ونابليون الغرب، وقيصر المكسيك، كان يعيش في منزل كبير في شالابا هو أكثر شبهاً بقصر فرساي.

لقد جلب الرئيس من باريس الأثاث كله والزينات والتحف كلها. وفي مخدعه كانت هنالك مرآة بيضوية هائلة منحنية، تُحسن صورة من يتأمل نفسه فيها. وكل صباح، حين يستيقظ، يقف قبالة المرآة السحرية التي تعكس له صورة سيد متأنق طويل القامة... ونزيه.

28 ايلــول

وصفة لطمأنة القــراء

ربما من المناسب التذكير أنه بعد شهر وبضعة أيام من القصف الذري الذي قضى على هيروشيما وناغازاكي، كذّبت *النيويورك تايمز* الإشاعات التي كانت ترعب العالم.

ففي 12 أيلول 1945، نشرت هذه الصحيفة، في الصفحة الأولى، مقالاً بتوقيع محررها للموضوعات العلمية، وليم ل. لورنس. المقال يتصدى للروايات المثيرة للذعر ويؤكد أنه لا وجود لأية إشعاعات نشطة في هاتين المدينتين المدمرتين، وأن النشاط الإشعاعي لا يعدو كونه واحدة من أكاذيب الدعاية اليابانية.

بفضل هذا الكشف، كسب لورنس جائزة بوليتزر.

بعد زمن من ذلك، عُرف أنه يتقاضى مرتبين شهريين: النيويورك تايمز تدفع له أحدهما، والراتب الآخر يأتي من حساب الميزانية العسكرية للولايات المتحدة.

29 ايلــول

سابقة خطيرة

في العام 1948، تزوج سيرتز كاما، الأمير الزنجي من بوتسوانا، بروث ويليامز، وهي إنكليزية بيضاء.

لم يَرُق ذلك الخبر لأحد. وعمد التاج البريطاني، مالك وسيد جزء لا بأس به من أفريقيا، إلى تعيين لجنة اختصاصيين لدراسة المسألة. *الزواج بين عرقين مختلفين يعتبر سابقة خطيرة*، أصدرت لجنة

الملكة البريطانية حكمها، وحُكم على الزوجين بالنفي.

ترأس كاما، من المنفى، النضال من أجل استقلال بوتسوانا. وفي العام 1966، تحوّل إلى أول رئيس، جرى اختياره بأغلبية كبيرة في انتخابات مستقلة.

عندئذ تلقى، في لندن، لقب سير.

30 ايلول

يوم المترجمين

من جنوبي فيراكروث، انطلق فتى في الطريق.

وحين رجع، بعد سنوات، أراد أبوه أن يعرف ما الذي تعلمه.

الابن أجابه:

- *إنني مترجم. لقد تعلّمتُ لغة العصافير.*

وعندما غرد عصفور، طالب الأب ابنه:

- *إذا لم تكن كاذباً ملعوناً، أخبرني بما قاله هذا العصفور.*

رفض الابن، توسل قائلاً لأبيه إنه من الأفضل ألا تعرفَ ذلك، لأن معرفته لن تروق لكَ. ولكنّه أُجبر أخيراً، وترجم تغريدة العصفور.

امتقع وجهه الأب. وطرد ابنه من البيت.

تشرين الأول / اكتوبر

1 تشرين الأول

الجزيرة المفرغة

- *ستكون النوارس وحدها هي السكان الأصليين* ـ هذا ما أعلنته الحكومة البريطانية.

وفي العام 1966 نفذت وعدها.

جميع سكان جزيرة دييغو غارسيا، باستثناء النوارس، أُرسلوا إلى المنفى، بحراب البنادق والرصاص.

وأجرت الحكومة البريطانية الجزيرة المفرغة للولايات المتحدة لمدة نصف قرن.

فردوس شواطئ الرمال البيضاء ذاك، وسط المحيط الهندي، تحول إلى قاعدة عسكرية، ومحطة لأقمار التجسس الاصطناعية، وسجن عائم وحجرة تعذيب للمشبوهين بالإرهاب، وقاعدة انطلاق لتدمير البلدان التي تستحق العقاب.

وفيها أيضاً ملعب غولف.

2 تشرين الأول

هذا العالم مغرم بالموت

هذا اليوم، اليوم العالمي لمناهضة العنف، يمكن أن يكون مفيداً في تذكّر جملة للجنرال دوايت أيزنهاور، وهو لم يكن داعية سلام بالضبط.

في العام 1953، وكان رئيساً للبلاد التي تنفق أكبر قدر من الأموال على الأسلحة، اعترف:

- كل سلاح من الأسلحة المصنعة، كل سفينة حربية تبدأ الإبحار، كل قنبلة تُطلق، هي سرقة من الجائعين الذين لا يملكون طعاماً والعراة الذين لا يملكون لباساً.

3 تشرين الأول

من أجل التجعيد

في عام 1905 اخترع الحلاق الألماني التسريحة «الدائمة».

كانت التجارب توشك أن ترمِّدَ شعر زوجته، شهيدة العلم ونكران الذات، إلى أن وجد كارل أخيراً المعادلة المتقنة لتجعيد الشعر وإبقائه مجعداً ليومين في الواقع، ولعدة أسابيع في الإعلانات الدعائية.

عندئذ أطلق على نفسه اسماً فرنسياً ـ شارل ـ لإضفاء رشاقة لطيفة إلى مُنتَجِهِ.

تجرأ بعض الرجال على التجريب.

أما نحن الصلعان فلا.

4 تشرين الأول

يوم الحيوانات

إلى ما قبل بعض الوقت كان أوروبيون كثيرون يرتابون في أن الحيوانات ما هي إلا شياطين متنكرة.

وإعدام الحيوانات الشيطانية بالشنق أو بالنار كان عرضاً شعبياً لا يقل نجاحاً عن إحراق الساحرات عشيقات الشيطان.

في الثامن عشر من نيسان 1499، في أبرشية جوسيتا الفرنسية، بالقرب من سارتر، أُخضع خنوصٌ عمره ثلاثة شهور لمحاكمة جرمية.

ومثل جميع الخنازير، لم يكن لذلك الخنوص روح ولا عقل، وقد ولد ليؤكل. ولكنه بدل أن يؤكل، أكلَ. فقد اتهم بأنه التهم طفلاً.

لم يكن الاتهام يستند إلى أي دليل مؤكد.

ولافتقاد الأدلة، تحوّل الخنوص إلى مذنب حين كشف النائب العام جان ليفوازيه، المجاز في الحقوق، والعمدة الأعلى لدير سان مارتين دي ليون، عن أن عملية الالتهام قد جرت في يوم الجمعة الحزينة المقدس.

عندئذ أصدر القاضي حكمه: الإعدام.

5 تشرين الأول
رحلة كولومبس الأخيرة

في العام 1992، أنهت جمهورية الدومينيكان بناء أكبر فنار في العالم، إنه عال إلى حدّ أن أنواره تعكّر أحلام الرب.

أقيم الفنارُ تكريماً لكريستوف كولومبس، الأميرال الذي دشّن السيّاحة الأوروبية إلى البحر الكاريبي.

عشية الاحتفال، تم نقل رماد كولومبس من كاتدرائية سانتو دومنغو إلى الضريح الذي أقيم عند قاعدة الفنار.

وبينما عملية نقل الرفات جارية، توفيت وفاةً طبيعية ومفاجئة إيما بالاغير التي قادت عملية البناء، وانهارت المنصة التي كان مقرراً للبابا

أن يمنح مباركته من فوقها.

بعض سيئي الظن أكدوا أن كولومبس يجلب سوء الطالع.

6 تشرين الأول

آخـر رحلات كورتيس

في العام 1547، حين أحسَّ بأن الموت يدغدغه، أمر كـورتيس أن يدفنوه في مكسيكو، في دير كويّواكان الذي سيُكّرِمُ ذكراه. وعندما مات، كان بناء الدير لا يزال أمراً يُنظر فيه، وكان لا بد للمتوفى من أن يستقر متنقلاً في عدة أمكنة في اشبيلية.

وأخيراً وجدَ مكاناً في سفينة حملته إلى المكسيك، حيث حصل على إقامة إلى جانب أمه، في كنيسة سان فرانثيسكو دي تيكسوكو. ومن هناك انتقل إلى كنيسة أخرى، إلى جوار آخر أبنائه، إلى أن أمر نائب الملك بنقله إلى مستشفى يسوع ليظلّ محفوظاً هناك في مكان سريّ، بعيداً عن أيدي الوطنيين المكسيكيين الذين لديهم رغبة جنونية في تدنيسه.

راح مفتاح صندوق الرفات ينتقل من يد إلى يد، من راهب إلى راهب، طوال أكثر من قرن ونصف، إلى أن أكد علماء الموتى منذ زمن غير بعيد أن تلك الأسنان المهترئة وتلك العظام التي تحمل علامات الإصابة بالسفلس هي كل ما تبقى من جسدِ فاتحِ المكسيك.

أما عن الروح فلا يُعرف أي شيء. يقولون إنه يقال إن كورتيس قد كلّف بهذا الشأن روحانياً من أوسوماسينتا، هندياً يدعى توماس، لديه مستودع أرواح يحتفظ فيه، ضمن قوارير، بالأرواح المغادرة التي يلتقطها عند الزفرة الأخيرة؛ ولكن هذا أمر لا سبيل إلى التأكد منه.

7 تشرين الأول

آخـــر رحلات بيثارّو

العلمـاء الـذين حـدّدوا هويـة هِرنـان كـورتيس، أكـدوا أيضـاً أن فرانثيسـكو بيثـارّو يقـيم في ليمـا. وأن تلـك العظـام المخترقـة بطعنـات والمُقَوَّسة من الضرب، والتي تجتذب السيّاح، هي عظامه بالفعل.

بيثارّو الذي كان مربي خنازير في إسبانيا، صار مركيزاً في أمريكا، وقُتل غيلة عام 1541 على يد زملائه الفاتحين، عندما تنـازعوا ببطولـة على غنائم إمبراطورية الإنكا.

دُفن سراً، في الفناء الخارجي للكاتدرائية.

بعد أربع سنوات من ذلك، سمحوا له بالـدخول. وجـدَ مكانـاً لـه تحت المذبح الكبير، إلى أن فُقد في زلزال.

وظلّ مفقوداً لزمن طويل.

في العام 1891، تمكّن حشد من المعجـبين مـن تأمـل موميائـه، في صندوق زجاجي. وسرعان ما عُرف أن تلك المومياء المحتالة التي تتظاهر بأنها بيثارّو ليست كذلك.

في العـام 1977، عثـر البنـاؤون الـذين يقومـون بإصـلاح سـرداب الكاتدرائية على جمجمة، نُسبت ذات مرة إلى البطل. بعد سبع سنوات من ذلك جاء جسدٌ للقاء الجمجمة، وهكذا نُقل بيثارو المكتمل، أخيراً، بطقوس أبهة عظيمة، إلى قاعة تسجيةٍ في الكاتدرائية.

منذ ذلك الحين يُعرض في ليما، المدينة التي أسسها هو نفسه.

8 تشرين الأول

الثلاثــة

في العـام 1967، ألـف وسـبعمئة جنـدي حاصـروا تشـي غيفـارا ومقاتليه القليلين في بوليفيا، في كيبرادا دي يورو. وفي اليوم التالي جرى اغتيال تشي الذي وقع في الأسر.

في العام 1919، جرى اغتيال ثاباتا في المكسيك.

في العام 1934، قتلوا أغوسطو سيسر سانديو في نيكاراغوا.

الثلاثة كانوا في السن نفسها... كانوا على وشك بلوغ الأربعين.

الثلاثة سقطوا بالرصاص، غدراً، في كمائن.

الثلاثة، أمريكيون لاتينيون من القرن العشرين، تقاسموا الخريطة نفسها والزمان.

والثلاثة عوقبوا لأنهم رفضوا أن يُعيد التاريخ نفسه.

9 تشرين الأول

أنا رأيتــه يراني

في العام 1967، بينما كان تشي غيفارا مسجى في مدرسة هيغيرا، بعد اغتياله بأمر من الجنـرالات البـوليفيين وآمـريهم البعيـدين، روت امرأة ما رأته. لقد كانت واحدة مـن الفلاحـين الكـثيرين الـذين دخلـوا المدرسة ومشوا ببطء حول الميت:

- كنا نمرّ من هناك وهو ينظر إلينا. نمرُّ من هناك وينظر إلينـا. طيلة الوقت ينظر إلينا. لقد كان لطيفاً جداً.

10 تشرين الأول

العرّاب

حسب ما رواه لي أصدقائي الصقليين، وصل دون جينكو روسو، زعيم زعماء المافيا، إلى الموعد بتأخير مدروس مدته ساعتان ونصف الساعة.

في باليرمو، في فندق سولي، كان ينتظره فرانك سيناترا.

في ظهيرة هذا اليوم من عام 1963، قدّم معبود هوليود الولاء لملك صقلية: ركع فرانك سيناترا أمام دون جينكو وقبّل يده اليمنى.

في العالم بأسره، كان سيناترا هو الصوت، ولكن الأهم من الصوت في موطن أجداده هو الصمت.

الثوم، رمز الصمت، وهو أحد العناصر الأربعة المقدسة في صلاة المائدة المافيوية: العناصر الأخرى هي الخبز، رمز الاتحاد؛ والملح، شعار الشجاعة؛ والنبيذ الذي هو الدم.

11 تشرين الأول

السيدة التي اجتازت ثلاثة قرون

ولدت أليس عبدةً في العام 1686، وعاشت عبدة لمئة وستة عشر عاماً.

حين ماتت، عام 1802، مات معها جزء من ذاكرة أفارقة أمريكا.

لم تكن أليس تعرف القراءة والكتابة، ولكنها كانت ممتلئة بأصوات تروي وتروي أساطير تصل من بعيد، وتروي كذلك قصصاً معاشة من قريب. بعض تلك القصص تأتي من عبيد تساعدهم هي نفسها على الفرار.

في التسعين من عمرها صارت عمياء.

عند بلوغها المئة وسنتين، استعادت البصر:

- *إنه الرب* ـ قالت ـ *لا يمكن له أن يخيب ظني*.

كانوا يسمونها أليس الفيري دانكز. وفي خدمة سيدها كانت تعمل في سفينة الفيري التي تنقل الركاب جيئة وذهاباً عبر ضفتي نهر ديلاوير.

وحين كان المسافرون، وهم من البيض دوماً، يسخرون من تلك العجوز الهرمة شديدة الهرم، كانت تتركهم على الضفة الأخرى للنهر. لقد كانوا ينادونها صارخين، ولكن ليس ثمة وسيلة. فقد صارت صماءَ من كانت من قبل عمياء.

12 تشرين الأول
الاكتشاف

في العام 1492، اكتشف السكان المحليون أنهم هنود،

واكتشفوا أنهم يعيشون في أمريكا،

واكتشفوا أنهم عراة،

واكتشفوا وجود الخطيئة الأصلية،

واكتشفوا أنه عليهم طاعة ملك وملكة من عالم آخر، وإله آخر من سماء أخرى،

وأن ذلك الإله قد اخترع الخطيئة والملابس

وأنه أمر بأن يُحرق حياً من يعبد الشمس والقمر والأرض والمطر الذي يبللها.

13 تشرين الأول

الروبوتات المجنحة

خبر طيب. في هذا اليوم من عام 2011، أعلن قادة العالم العسكريون أن الطائرات الموجهة لاسلكياً يمكنها مواصلة قتل الناس.

فهذه الطائرات التي بلا طيار، لا يقودها أحد، وتُوجه بالتحكم عن بعد، تتمتع بصحة جيدة: الفيروس الذي هاجمها لم يكن أكثر من إزعاج عابر.

حتى الآن، ألقت الطائرات الموجهة لاسلكياً مطر قنابلها على ضحايا عزل في أفغانستان، والعراق، وباكستان، وليبيا، واليمن، وفلسطين، وهنالك بلدان أخرى تنتظر خدماتها.

في أزمنة حروب التوجيه والتحكم، صارت الطائرات الموجهة هي المحاربين المفضلين. فهي تقتل دون تأنيب ضمير، تطيع الأوامر دون تذمر، ولا تشي أبداً بقادتها.

14 تشرين الأول

هزيمة للحضارة

في العام 2002 أغلقتْ مطاعم مكدونالد الثمانية أبوابها في بوليفيا.

لم تكد تستمر تلك البعثة التحضيرية أكثر من خمس سنوات.

لم يمنعها أحد. ما حدث بكل بساطة أن البوليفيين أداروا لها ظهورهم، أو بعبارة أدق: رفضوا أن يقدموا لها أفواههم. لقد رفض أولئك الجاحدون الاعتراف بلفتة الشركة الأوسع نجاحاً على الكوكب حين شرّفت البلاد بحضورها بكل نزاهة.

حُبّ التخلف حال دون أن تجاري بوليفيا وجبات الطعام السريع وإيقاعات الحياة الحديثة الدواريّة.

لقد هزمت الشركاتُ البيتية التقدمَ. فالبوليفيون مازالوا يأكلون دون تعجل، في طقوس بطيئة، متمسكين بعناد بالطعوم القديمة المتولدة عن المواقد العائلية.

لقد ذهبت، كيلا تعود أبداً، الشركة التي تتخصص في منح تسهيلات للأطفال، وفي طرد العمال الذين ينضمون إلى نقابات، وفي تضخيم بدانة البدناء.

15 تشرين الأول

دون ذرة لا بلاد

في العام 2009 سمحت حكومة المكسيك بزراعة، **تجريبية ومحدودة**، للذرة المُطّورة جينياً.

تعالت ضجة الاحتجاج من الأرياف. لا أحد يجهل أن الرياح ستتولى إشاعة غزو الذرة الجينية، إلى أن تتحول إلى كارثة قَدَرِيَّة.

كثير من القرى الأولى في أمريكا نمت وكبرت وهي تتغذى على الذرة. فالذرة هي البشر، والذرة لها، مثل البشر، كل الألوان والطعوم.

أيمكن لأبناء الذرة، من يصنعون الذرة التي صنعتهم، مقاومة هجمة الصناعة الكيميائية التي تفرض عقيدتها السامة على العالم؟ أم إن الأمر سينتهي بنا، في كل أرجاء أمريكا، إلى تقبل هذه البضاعة التي يقال إن اسمها ذرة ولكن لها لون واحد وليس لها مذاق ولا ذاكرة؟

16 تشرين الأول

ظنّ أن العدالة عدالة

الحقوقي الإنكليزي جون كوك دافع عمن لا يريد أحدٌ الدفاع عنهم وهاجم من لا يستطيع أحدٌ مهاجمتهم.

وبفضله تمكن القانون البشري، لأول مرة في التاريخ، أن يُذِّل الإلوهية الملكية: في العام 1649، وجه المدعي العام كوك الاتهام إلى الملك كارل الأول، وتمكنت مرافعته الصائبة من إقناع المحلفين. أدين الملك بجرائم الطغيان، وقَطَعَ الجلادُ رأسه.

بعد سنوات من ذلك، دفع المدعي العام الثمن. اتهموه بارتكاب جريمة قتل الملك، حبسوه في برج لندن. وقد دافع عن نفسه:

- *لقد طبّقتُ القانون.*

هذا الخطأ كلفه حياته. فعلى أي حقوقي أن يعرف أن القانون يعيش في الأعلى ويبصق إلى أسفل.

في مثل هذا اليوم من عام 1660، شُنق كوك وقُطّع جسده في القاعة نفسها التي تحدى فيها السلطة.

17 تشرين الأول

حروب صامتة

هذا اليوم هو اليوم العالمي لمكافحة الفقر.

الفقر لا ينفجر مثل القنابل، ولا يدوي مثل طلقات الرصاص.

وعن الفقراء نعرفُ كلّ شيء: ما لا يعملون، وما لا يأكلون، وكم لا يزنون، وكم لا طول قامتهم، وما لا يملكون، وما لا يفكرون، وأنهم لا

يُصوِّتون، وبماذا لا يؤمنون.

ما تنقصنا معرفته فقط هو لماذا الفقراء فقراء.

أيكون السبب في أن عريهم يكسونا وجوعهم يطعمنا؟

18 تشرين الأول
النساء أشخاص

في هذا اليوم من عام 1929، اعترف القانون، أول مرة، بأن نساء كندا أشخاص.

حتى ذلك الحين كانت النساء يعتقدن أنهن كذلك، أما القانون فلا.

التعريف القانوني للشخص لا يتضمن النساء، هذا ما أقرته محكمة العدل العليا في البلاد.

إيميلي مورفي، ونيللي بارلبي، وهنريت ادواردز: ولويز ماككيني كنَّ يتآمرن بينما هنَّ يتناولن الشاي.

وقد تمكنَّ من هزيمة المحكمة العليا.

19 تشرين الأول
اللامرئيين

قبل ألف وخمسمئة عام، في فجر يوم مثل هذا اليوم، كان سقراط يتمشى مع غلوكون، شقيق أفلاطون، في محيط بيريو.

روى غلوكون قصة راعٍ من مملكة ليديا وجدَ ذات مرة خاتماً، وضعه في إصبعه وسرعان ما انتبه إلى أن أحداً لا يراه. فذلك الخاتم

السحري يجعله غير مرئي في أعين الآخرين.

تفلسف سقراط وغلوكون مطولاً حول التفرعات الأخلاقية لهذه القصة. ولكن أياً من الاثنين لم يتساءل عن السبب في أن النساء والعبيد ليسوا مرئيين في اليونان، بالرغم من أنهم لا يستخدمون خواتم سحرية.

20 تشرين الأول

النبي يال

في العام 1843 سجل لينوس يال براءة اختراع القفل الأشد متانة من جميع الأقفال، مستوحياً اختراعاً مصرياً يرجع إلى نحو أربعة آلاف عام.

ومنذ ذلك الحين، أمّنَ يال أبواب وبوابات جميع البلدان، وصار أفضل حارس لحق الملكية.

في أيامنا هذه، المدن المريضة بالذعر، هي أقفال عملاقة.

والمفاتيح موجودة في أيدٍ قليلة.

21 تشرين الأول

فجِّروا بعضكم بعضاً

في حوالي العام 630 وبضعة أيام، قام طبيب وخيميائي صيني مشهور يدعى سون سيمياو بخلط نترات بوتاسيوم، وملح بارود، وكبريت، وفحم خشبي، وعسل وزرنيخ. كان يبحث عن أكسير الحياة الخالدة. فتوصل إلى وسيلة للموت.

في العام 1867، حصل الكيميائي السويدي ألفريد نوبل على براءة

اختراع الديناميت في بلاده.

وفي العام 1876، حصل على براءة اختراع الجيلانيت.

في العام 1895، أسس جائزة نوبل للسلام. ومثلما يشير اسمها، ولدت الجائزة مكرسة لمكافأة المناضلين السلميين. وقد مولتها ثروة تم جنيها في ميادين المعارك.

22 تشرين الأول

يوم الطب الطبيعي

هنود ناباخوس يعالجون وهم يغنون ويرسمون.

هذه الفنون العلاجية، نَفَسٌ مقدس ضد ضيق النفس، ترافق عمل الأعشاب، والإبر، والآلهة.

على امتداد تسع ليال، ليلة بعد ليلة، يسمع المريض الغناء الذي يُبعد الظلال الخبيثة التي اندست في بدنه، بينما أصابع الرسام ترسم على الرمل سهاماً، وشموساً، وأقماراً، وطيوراً، وأقواس قزح، وصواعق، وأفاعي وكل ما يساعد على الشفاء.

وبانتهاء طقوس العلاج، يرجع المريض إلى بيته، الأغاني تتلاشى والرمل يطير.

23 تشرين الأول

غناء

في ليالي جنوب العالم الدافئة، في فصل الربيع، تستدعي ذكور الجداجد إناثها.

تستدعيها بفرك أجنحتها الأربعة.

هذه الأجنحة لا تتقن الطيران. ولكنها تتقن الغناء.

24 تشرين الأول

رؤيـــة

لم يكن العلماء يأخذونه على محمل الجدّ. لأن أنطوني فان ليفينهـوك لا يتكلم اللاتينية، ولم يتلقَ تعليماً، واكتشافاته هي ثمرة المصادفة.

بدأ أنطوني بتجريب توليف عدسات، مـن أجـل أن يـرى بصـورة أفضـل المنسـوجاتَ الـتي يبيعهـا، ومـن عدسـة إلى عدسـة اخـترع ميكروسكوباً من خمسمئة عدسة مكبرة يمكنه من أن يرى، في قطرة ماء، حشداً من كائنات تتراكض بأقصى سرعة.

تاجر الأقمشة هذا اكتشـف، بـين توافـه كـثيرة أخـرى، الكريـات الحمر، والجراثيم، والحيوانات المنوية، والخمائر، ودورة حياة النمـل، والحياة الجنسية للبراغيث، وتشريح حُمَةَ النحل.

في المدينة نفسها، مدينة دلفت الهولندية، كان قد ولد، في الشـهر نفسه من عام 1632، كلٌ من أنطوني وفيرمر الفنان الرسام. وفي المدينـة نفسها انكبا على رؤية مـا هـو غـير مرئـي. فكـان فيرمـر يلاحـق النـور المختبئ في الظلّ، وكان أنطوني يتجسس علـى أسـرار أشـد أقربائنـا في ملكوت هذا العالم ضآلة.

25 تشرين الأول

رجل عنيد

ضئيل جداً ما كانت تساويه حياة إنسان في كولومبيا. وحياة إنسان فقير تكاد لا تساوي شيئاً. ولا شيء على الإطلاق تساوي حياة هندي، وحياة هندي متمرد تساوي أقل من لا شيء.

ومع ذلك فإن كينتين لاميه مات عجوزاً في عام 1967.

لقد ولد في هذا اليوم من عام 1880، وعاش سنوات حياته المديدة سجيناً أو مقاتلاً.

في سجن توليما، أحد مواقع تعاساته، سُجن مئة وثماني مرات.

في الصور البوليسية يظهر دوماً بعينين متورمتين، بفعل تحيات الدخول، وبشعر حليق، من أجل انتزاع قوته.

مالكو الأراضي يرتجفون حين يسمعون اسمه، ويبدو أن الموت أيضاً يخاف منه. إنه رجل كلمات ناعمة وإيماءات حساسة، كان يغيّر كولومبيا بدفعه الشعوب الهندية إلى التمرد:

– *نحن لم نأت مثل خنازير بلا كابح لنجوس في زرع الآخرين. هذه الأرض أرضنا* ـ يقول كينتين، وخطاباته التحريضية كانت دروساً في التاريخ. لقد كان يروي ماضي ذلك الحاضر، سبب وزمن كل ذلك الشقاء: ابتداء من المقبل، ثم يأخذ بالاستنباط بعد ذلك.

26 تشرين الأول

حرب لمصلحة المخدرات

بعد عشرين عاماً من قصف المدافع وموت آلاف الصينيين،

أعلنت الملكة فيكتوريا النصر: الصين التي كانت تمنع المخدرات فتحت أبوابها للأفيون الذي يبيعه التجار الإنكليز.

بينما كانت القصور الإمبراطورية تشتعل، وقَع الأمير جونغ الاستسلام في العام 1860.

لقد كان انتصاراً للحرية: حرية التجارة.

27 تشرين الأول

حرب ضد المخدرات

في العام 1986 تسلم الرئيس رونالد ريغان الرمح من ريتشارد نيكسون الذي كان قد أطلق منذ سنوات الحرب ضد المخدرات وتلقى دافعاً مليونيرياً.

منذ ذلك الحين تضاعفت أرباح تجار المخدرات والمصارف الكبرى التي تغسل الأموال؛

المخدرات شديدة التركيز صارت تقتل ضعف من كانت تقتلهم من قبل. وكل أسبوع يجري افتتاح سجن جديد في الولايات المتحدة لأن أعداد متعاطي المخدرات يتضاعف في البلاد التي تضم أكبر عدد من المتعاطين.

أفغانستان، البلاد التي غزتها الولايات المتحدة واحتلتها، تحوّلت إلى الممون بكل الهيروين تقريباً الذي يشتريه العالم.

والحرب ضد المخدرات حوّلت كولومبيا إلى أكبر قاعدة عسكرية أمريكية، وهي آخذة بتحويل المكسيك إلى مسلخ جنوني.

28 تشرين الأول

جنون سيمون

في هذا اليوم، في كاراكاس، عام 1769، ولد سيمون رودريغث.

الكنيسة الكاثوليكية عمّدته على أنه *párvulo expósito*، ابن لا أحد، ولكنه كان أكثر أبناء أمريكا الإسبانية تعقلاً.

وعقاباً على تعقله، لقبوه *المجنون*. كان يقول إن بلداننا ليست حرة، حتى لو كانت لها أناشيد وطنية وأعلام، لأن الأحرار هم من يؤمنون وليس من يبدون رأياً، وأحرار من يفكرون، وليس من يطيعون.

وكان *المجنون* يقول: التعليم هو أن تُعلِّم الشك.

29 تشرين الأول

رجل طيب القلب

في 1981، وبلفتة كريمة تُكرِّم ذكراه، أقدم الجنرال أغوسطو بينوشيت على بيع أنهار وبحيرات تشيلي ومياهها الجوفية بثمن بخس.

بعض الشركات المنجمية، مثل اكستراتا السويسرية، والشركات الكهربائية مثل إنديسا الإسبانية وشركة AES Gener الأمريكية، صارت المالكة الأبدية لأغزر أنهار تشيلي. تلقت شركة إنديسا مسطحاً مائياً يساوي مساحة بلجيكا.

الفلاحون وتجمعات السكان الأصليين فقدوا الحق في الماء، وحُكم عليهم بأن يشتروه، ومنذ ذلك الحين تقدّمت الصحراء ملتهمة أراضي خصبة، وراح المشهد الريفي يفرغ من البشر.

30 تشرين الأول

المريخيون آتون !

في 1938 حطت السفن الفضائية على سواحل الولايات المتحدة، واندفع منها المريخيون للهجوم. كانت لهم أذرع أخطبوطية شرسة، وعيون سوداء هائلة تطلق صواعق متوقدة، وأفواهٌ تسيل ريالةً لها شكل V.

مواطنون كثيرون خرجوا مذعورين إلى الشوارع، متدثرين بمناشف مبللة بالماء للاحتماء من الغاز السام الذي ينبعث من المريخيين، وكثيرون آخرون فضلوا أن يعتكفوا وراء مزاليج ومتاريس وبتسليح جيد بانتظار المعركة الفاصلة.

أورسون ويلز هو من اخترع ذلك الغزو الفضائي، وبثّه عبر الإذاعة. لقد كان الغزو أكذوبة، لكن الخوف كان حقيقياً.

وقد استمر الخوف: فالمريخيون صاروا روساً، كوريين، فيتناميين، كوبيين، نيكاراغويين، أفغاناً، عراقيين، إيرانيين...

31 تشرين الأول

أجداد رسوم الكاريكاتير السياسية

في العام 1517، علق الراهب مارتن لوتر كلماته المتحدية على بوابة كنيسة قلعة ويتنبرغ.

بفضل الاختراع المسمى مطبعة، لم تبق تلك الكلمات هناك. لقد وصلت *أطروحات* لوتر إلى الشوارع والساحات ودخلت إلى بيوت

وحانات ومعابد ألمانيا وأبعد من ألمانيا.

كان الإيمان البروتستانتي يولد. وكان لوتر يهاجم بذخ كنيسة روما وتبذيرها، وبيع تذاكر الدخول إلى الفردوس، ونفاق عزوبية الكهنة...

لم تكن تلك الهرطقات تنتشر كلاماً وحسب، بل في رسوم أيضاً تصل إلى مزيد من الناس، لأن قلة من الناس كانت تعرف القراءة، ولكنهم جميعهم قادرون على الرؤية.

الرسوم التي كانت تساعد على نشر احتجاجات لوتر، هي أعمال للوكاس كراناش، وهانز هولبين وفنانين آخرين، ولم تكن رسوماً شديدة اللطف، ففي بعضها يظهر البابا كعجل ذهبي مريع، أو كحمار له ثديا امرأة وذيل شيطان، أو يكون بديناً تغطيه الجواهر والحلي ويسقط على رأسه بين ألسنة لهب الجحيم.

أدوات الدعاية الدينية المرهفة تلك التي ساعدت كثيراً في الانتشار الجماهيري لتمرد لوتر، أسست، دون أن تدري، لكاريكاتير أزمنتنا السياسي.

تشرين الثاني / نوفمبر

1 تشرين الثاني

حــذار من الحيوانات

في العام 1986 ضربت جائحة جنون البقر البريطانيين، وأكثر مـن مليوني بقرة مشبوهة بالإصابة بالعدوى، عوقبت بالحكم عليها بالعقوبة القصوى.

في العام 1997، أنفلونزا الطيور التي انتشـرت مـن هونـغ كونـغ، زرعت الهلع وحكمت على مليون ونصف مليون طائر بالموت المبكر.

في العام 2009، انفجرت في المكسيك والولايـات المتحـدة جائحـة أنفلونزا الخنازير، وكان على العالم بأسره أن يضع الأقنعة ضد الوباء.

ملايين الخنازير، لا يُعرف عددها بالضبط، ضُحي بها لأنها تسعل أو تعطس.

من المسؤول عن الأوبئة البشرية؟ إنها الحيوانات.

هكذا ببساطة.

وبالمقابـل لا تـدور أدنـى شـبهة حـول شـركات التجـارة الزراعيـة العالمية العملاقة، تلاميذ السحرة هؤلاء الذين يحولون الأغذية إلى قنابل كيميائية عالية الخطورة.

2 تشرين الثاني

يـوم الموتـى

في المكسيك، يدعو الأحياءُ الموتى في ليل هذا اليـوم مـن كـل عـام، فيأكل الموتى ويشـربون ويرقصـون ويطلعـون علـى آخـر الأقاويـل وعلـى مستجدات الجيران.

ولكن في نهاية الليل، حين تقول لهم النـواقيس وأول أنـوار الفجـر وداعاً، يتصنع بعض الموتى أنهم أحيـاء ويختبئـون في تعرجـات المقـبرة وبين القبور. عندئذ يتراكض الناس وراءهم بالمكانس: *هيا انصرف دفعة واحدة، هيـا اذهـب واتركنـا بسـلام، لا نـريـد رؤيتـك حتـى السنة القادمة.*

ذلك أن الموتى شديدو العناد.

في هايتي، هنالك تقليد قديم يحظر حمل النعش في خط مستقيم إلى المقبرة. يحمله الموكب في حركة متعرجة وبكثير من اللف والدوران، من هنا، من هناك، ومرة أخرى من هنا، من أجل تضليل المتوفى بحيث لا يتمكن من العثور على طريق العودة إلى البيت.

ففي هايتي، كما في كل مكان، الموتى أكثر عدداً بكثير من الأحياء. والأقلية الأحياء يدافعون عن أنفسهم كيفما يستطيعون.

3 تشرين الثاني

المقصلـة

ليس الرجال وحدهم هم من فقدوا رؤوسهم بها. بل كانت هناك نسـاء أيضاً قتلتهم المقصلة ونسيتهم، لأنهنّ لم يكنّ مهمات مثل الملكة أنطوانيت.

ثلاث حالات نموذجية:

أولمبيا دي غوغيس قطعتْ الثورةُ الفرنسية رأسَها، عام 1793، كيلا تواصل الاعتقاد بأن النساء أيضاً هنّ مواطنات.

في العام 1943 اقتيدت ماري لويز جيرو إلى منصة الإعدام في باريس لممارستها الإجهاض، لأنه *عمل إجرامي ضد الأسرة الفرنسية.*

وفي الوقت نفسه: في ميونخ، كانت المقصلة تقطع رأس طالبة، صوفي شول، لتوزيعها منشورات ضد الحرب وضد هتلر:

– *يا للحزن* – قالت صوفي – *يوم بهذا الجمال، وبهذه الشمس، ويكون عليّ أن أغادر.*

4 تشرين الثاني

انتحار تينوتشيتلان

من يستطيع حصار تينوتشيتلان؟، كان المغنون يتساءلون. من ذا الذي يستطيع زعزعة قواعد السماء؟

في العام 1519، حمل المراسلون أخباراً إلى موكتيزوما، ملك الأزتيك، بأن كائنات غريبة، تبصق رعوداً ولهم صدور من حديد، ووجوه مغطاة بالشعر، وأبدان بستة قوائم، تتقدم باتجاه تينوتشيتلان.

العاهل رحب بهم بعد أربعة أيام.

فقد أتوا من البحر نفسه الذي ابتعد عبره، منذ أزمنة بعيدة، الإله كيتزالكواتل، وقد ظن موكتيزوما أن هِرنان كورتيس هو الإله العائد. فقال له:

– إلى أرضِكَ وصلت.

وسلّم إليه التاج، وقدم له هدايا من الذهب: بطٌّ من الذهب، نمور من الذهب، أقنعة من الذهب، ذهب ومزيد من الذهب.

عندئذ، ودون أن يستل كورتيس سيفه، سجنه في قصره.

موكتيزوما مات رجماً على يد شعبه.

5 تشرين الثاني

مرض اسمه العمل

في العام 1714 مات، بمدينة بادوا، بيرناردينو رامازيني.

كان طبيباً غريب الأطوار، يبدأ بالسؤال:

- *أين تعمل؟*

لم يكن يخطر لأحد أنه يمكن أن تكون لهذا الأمر أية أهمية.

لقد سمحت له خبرته أن يكتب أول بحث في طب العمل، حيث وصف، واحداً فواحداً، الأمراض المتواترة في أكثر من خمسين مهنة. وأثبت أن الأمل ضعيف في شفاء العمال الذين يأكلون الجوع، بلا شمس وبلا راحة، في ورش مغلقة، غير صالحة للتنفس، وقذرة.

6 تشرين الثاني

الملك الذي لم يكن

الملك كارلوس الثاني ولد في مدريد عام 1661.

خلال سنوات عمره الأربعين، لم يستطع قطُّ الوقوف على قدميه، ولا

التكلم دون ريالة، ولا تحمّل التاج على رأسه الذي لم تزره أي فكرة قطّ

لقد كان كارلوس حفيداً لعمته، وكانت أمه ابنة أخ لأبيه، وجد أبيه عماً لجدة أمه: آل هابيسبورغ كانوا يحافظون على كل شيء ضمن البيت.

كل ذلك الورع الأسري قضى على سلالتهم.

عندما مات كارلوس ماتت معه السلالة في إسبانيا.

7 تشرين الثاني

احـــلام

في العام 1619، وكان رينه ديكارت لا يزال فتى صغيراً، حلم كثيراً في ليلة واحدة.

وكما روى هو نفسه، في الحلم الأول كان يمشي معوجاً ولا يستطيع الاستواء، يصارع بشق النفس ضد الريح التي تدفعه بعنف نحو المدرسة والكنيسة.

في الحلم الثاني، انتزعته صاعقة من الفراش وامتلأت الحجرة بشرر يضيء كل شيء.

وفي الثالث، رأى نفسه يفتح موسوعة، بحثاً عن طريق يتبعه في الحياة، ولكن صفحات الموسوعة كانت تنقصها هذه الصفحة.

8 تشرين الثاني

مهاجرون شـرعيون

في طائرة خاصة طاروا حتى مونتيري.

وهناك بدؤوا، في العام 2008، جولتهم الظافرة. اعتُبروا ضيوفاً

بارزين، وفي ثماني عربات فاخرة جالوا في الشوارع الواسعة.

بدوا سياسيين فائزين، ولكن لا. لقد كانوا مومياوات. مومياوات وباء الكوليرا الذي اجتاح قبل قرن ونصف القرن مدينة غواناخواتو.

إحدى عشرة امرأة وسبعة رجال وخمسة أطفال، ورأس بلا جسد، جميعهم بملابس احتفاليه، اجتازوا الحدود. وعلى الرغم من أنهم مومياوات مكسيكية، إلا أن أحداً لم يطلب منهم جوازات سفر، ولم يحاصرهم حرس الحدود.

وبكل هدوء واصلوا الرحلة نحو لوس أنجلوس، ولاس فيغاس، وشيكاغو، حيث استُعرضوا بحفاوة، تحت أقواس من الزهور.

9 تشرين الثاني

ممنوع المرور

في مثل هذا اليوم، عام 1989، مات جدار برلين.

ولكن جدراناً أخرى ولدت للحيلولة دون أن يغزو المغزوون غازيهم.

كيلا يسترد الأفارقة أجور العبيد التي لم تُدفع لهم قطّ.

كيلا يعود الفلسطينيون إلى الوطن الذي سُرق منهم.

كيلا يدخل الصحراويون إلى أرضهم المغتصبة.

كيلا يطأ المكسيكيون الخريطة الفسيحة التي ابتُلعت منهم.

في العام 2005، عبّر الرجل ـــ القذيفة الأشهر في العالم، دافيد سميث، عن احتجاجه، بطريقته، على الجدار المهين الفاصل بين المكسيك والولايات المتحدة. أطلقَهُ مدفعٌ ضخم، ومن أعالي الهواء استطاع دافيد السقوط سليماَ معافى انطلاقاً من الجانب المحظور من الحدود.

لقد ولد في الولايات المتحدة، ولكنه كان مكسيكياً خلال الوقت الذي استغرقه طيرانه.

10 تشرين الثاني

يوم العلوم

أثبت الطبيب البرازيلي دراوزو فاريلا أن العالم يستثمر في معالجة داء الزهايمر مبالغ مالية أقل بخمس مرات مما يستخدمه في المنشطات الجنسية الذكرية وسيلكون التجميل الأنثوي. وتنبأ:

- بعد بضع سنوات، سيكون لدينا عجائز بأثداء كبيرة ومسنون بقضبان منتصبة ولكن أياً منهم لا يتذكر سبب وجود هذه الأشياء.

11 تشرين الثاني

فيودور دستويفسكي ولد مرتين

في المرة الأولى ولد في موسكو، في هذا اليوم من عام 1821.

وفي نهاية العام 1849، ولد من جديد، في سان بطرسبرغ.

كان دستويفسكي قد أمضى ثمانية شهور معتقلاً، ينتظر إعدامه رمياً بالرصاص. في البدء لم يكن يريد أن يحدث ذلك، ثم بدأ في ما بعد يتقبل حدوثه عندما يجب أن يحدث. وأخيراً صار يرغب في حدوثه بأسرع ما يمكن، أن يحدث وينتهي، لأن الانتظار كان أسوأ من الموت.

وظلّ على تلك الحال حتى فجر اليوم الذي جَرجر فيه هو والمدانون الآخرون سلاسلهم حتى ساحة سيمنوفيسك، على ضفاف نهر نيفا.

الصوتُ الآمر أمرَ، ولدى الصرخة الأولى قام الجلادون بعصب أعين الضحايا.

ومع الصرخة الثانية، سمعت قرقعة تهيئة البنادق.

وعند الصرخة الثالثة: *صوبوا أسلحتكم*، تعالت توسلات، وتأوهات، وبكى البعض. وساد بعد ذلك الصمت.

ثم صمت.

ومزيد من الصمت، إلى أن سُمع في ذلك الصمت اللانهائي أن قيصر عموم روسيا، في لفتة كريمة، قد أرسل قراره بالعفو.

12 تشرين الثاني

لا أحبّ أن تكذبوا عليّ

الراهبة خوانا إنيس دي لا كروث، ولدت في هذا اليوم من عام 1951، وكانت الأفضل.

لم يحلّق أحدٌ عالياً مثلها في بلادها وفي زمانها.

دخلتْ فتيّةً جداً إلى الدير. ظنّت أن الديرَ سجنٌ أخفّ وطأة من البيت. وكانت معلوماتها خاطئة. وحين عرفت الحقيقة كان الوقت قد فات. بعد سنواتٍ من ذلك ماتت ــ محكوم عليها بالصمت ــ تلك المرأة التي كانت أحسن الجميع قولاً.

لقد اعتاد سجانوها أن يغدقوا عليها المديح الذي لم تصدقه قطّ.

في إحدى المناسبات، رسم لها رسام نائب الملك في المكسيك صورةً كانت أشبه بنبوءةِ فوتوشوب. فردت عليه بقصيدة:

هذا الذي به سعيتَ للتملق
اعتذاراً من فظاعات السنين،
وتجاوزاً لقسوة الزمن
انتصاراً على الشيخوخة والنسيان،
ما هو إلا مسعى بليد خاطئ،
جهد باطلٌ، وبنظرة أدق
إنه جثة، غبار، ظلٌّ، عَدَم.

13 تشرين الثاني

أبو موبي ديك

في العام 1851 نُشرت في نيويورك الطبعة الأولى من *موبي ديك*.

كان هرمان ميلفيل، جوال البحر واليابسة، قد نشر بعض الكتب الرائجة، ولكن *موبي ديك*، عمله البارع، لم تنفد طبعته الأولى تلك قطّ، ولم يكن لأعماله التالية حظاً أوفر

مات ميلفيل منسياً، بعد أن أدرك بوضوح أن النجاح والإخفاق هما حدثان مشكوك في أهميتهما.

14 تشرين الثاني

أم الصحفيات

في صباح هذا اليوم من عام 1889، بدأت نيللي بلي رحلتها.

لم يصدق جول فيرن أن تلك المرأة الصغيرة الجميلة ستتمكن من

الدوران حول العالم، وحدها، في أقل من ثمانين يوماً.

ولكن نيللي احتضنت الكوكب في اثنين وسبعين يوماً بينما هي تنشر تحقيقاً صحفياً إثر تحقيق عما تراه وتعيشه.

لم يكن ذاك هو تحدي الصحفية الشابة الوحيد، ولم يكن الأخير أيضاً.

فمن أجل أن تكتب عن المكسيك، «تمكسكت» إلى حدّ أصيبت معه الحكومة المكسيكية بالذعر وطردتها.

وكي تكتب عن المصانع، اشتغلت عاملة.

وكي تكتب عن السجون، جعلتهم يسجنونها لاقترافها سرقة.

ولتكتب عن مستشفيات المجانين، تظاهرت بالجنون، وقد مثّلت على أحسن وجه، حتى إن الأطباء اعتبروها مجنونة لا شفاء لها. وهكذا استطاعت التنديد بأساليب العلاج النفسي التي عانت منها، والتي يمكن لها أن تحوّل أي شخص إلى مجنون.

حين كانت نيللي في العشرين من عمرها، في بيتسبرغ، كانت الصحافة شأناً من شؤون الرجال.

في ذلك الحين، اقترفت هي وقاحة نشر تحقيقاتها الصحفية الأولى.

بعد ثلاثين عاماً من ذلك نشرت تحقيقاتها الأخيرة وهي تتفادى الرصاص على خطِّ النار في الحرب العالمية الأولى.

15 تشرين الثاني

هوغو بلانكو ولد مرتين

في كوسكو، عام 1934، ولد هوغو بلانكو أول مرة.

وصل إلى الحياة في بلد، البيرو، مقسوم إلى اثنين.

وكانت ولادته في المنتصف.

كان أبيض، لكنه ترعرع في قريةٍ، تدعى هوانوكيتي، حيث يتكلم زملاؤه لغة الكيتشوا في لعبهم وتجوالهم، وذهب إلى مدرسة كوسكو، حيث لا يمكن للهنود المشي على الأرصفة المحجوزة للناس المحترمين.

ولد هوغو للمرة الثانية وهو في العاشرة من عمره. ففي المدرسة تلقى أخباراً من القرية، وعلم أن دون بارتولومي باث قد وسم عاملاً هندياً بحديدٍ مُحمى. مالك الأراضي والناس وسم بالنار أول حرفين من اسمه BP على إلية العامل المدعو فرانثيسكو ثاماتا، لأنه لم يعتنِ جيداً بأبقار سيده.

لم يكن ما فعله حدثاً غير عادي، ولكنه وضع بذلك الوسم وسماً في ذهن هوغو إلى الأبد.

ومع مرور السنوات راح هذا الرجل الذي لم يكن هندياً يتحول إلى هندي؛ فنظم نقابات فلاحين، ودفع ثمن نكبته المختارة طوعاً تلقيه الضربَ والتعذيب والسجن والمضايقة والنفي.

في أحد إضراباته الأربعة عشر عن الطعام، حين لم يعد قادراً على تحمل المزيد، أرسلت إليه الحكومة المتأثرة لحاله، تابوتاً كهدية.

16 تشرين الثاني

متقصٍ للحياة

بما أنه كان حسير البصر، لم يجد بداً من اختراع عدسات أسست لعلم البصريات الحديث، وتلسكوبٍ اكتشف نجماً جديداً.

ولأنه كان بصاصاً جداً، رأى وهو ينظر إلى ندفة ثلج في راحة يده أن

روح الثلج لها شكل نجمة بستة رؤوس، ستة، مثلما هي جدران حجيرات خلية النحل، وبعيني عقله رأى أن الشكل السداسي يتقن استخدام المكان بأفضل طريقة.

ومن شرفة منزله رأى أن رحلة النباتات الصغيرة بحثاً عن الضوء ليست دائرية، واستنتج أنه قد لا تكون دائرية كذلك رحلة الكواكب حول الشمس، وراح تلسكوبه يقيس المدارات الإهليجية.

لقد عاش رائياً.

وعندما لم يعد يرى مات في مثل هذا اليوم من عام 1630.

على قبر يوهانس كيبلر كتابة تقول:

قستُ السماوات. والآن، أقيسُ الظلمات.

17 تشرين الثاني

المسـمع الآخـر

اليوم توفي، في العام 1959، الموسيقي البرازيلي هيتور فيلالوبوس.

كان له جهازا سمعٍ، واحدٌ داخلي والآخر خارجي.

في سنوات فتوته، حين كان يكسب عيشه بالعزف على البيانو في ماخور بريو دي جانييرو، كان فيلالوبوس يتدبر أمره ليؤلف أعماله الموسيقية، يتدبر الأمر كما يلي: يغلق مسمعه الخارجي عن صخب القهقهات والشراب، ويفتح مسمعه الداخلي ليسمع، نغمة فنغمة، موسيقاه الوليدة.

في ما بعد، في سنوات نضجه، كان مسمعه الداخلي ملاذه من شتائم الجمهور ومن سموم الناقدين.

18 تشرين الثاني

زورو ولـد أربع مرات

في 1615 ولد أول مرة. وسُمي وليام لامبورت، كان أحمر الشعر، وكان أيرلندياً.

ثم ولد مرة أخرى حين استبدل اسمه وموطنه، فصار غيّن لومباردو، إسبانياً، ونقيباً في الأسطول الإسباني.

ولد للمرة الثالثة متحولاً إلى بطل استقلال المكسيك، وفي العام 1659 حُكم عليه بالموت حرقاً، فشَنَق نفسه قبل أن يتعرض للموت في عار النار.

انبعث في القرن العشرين. وسُمي دييغو دي لابيغا، وكان يتقنع بقناع، وكان زورو سيفَ الضعفاء العادل، يخلّف إشارة Z حيثما يمر.

دوغلاس فيربانكس، وتيرون بوير، وآلان ديلون، وأنطونيو بانديراس، جمعهم شهروا سيفه في هوليود.

19 تشرين الثاني

الطحلب والحجر

في فجر هذا اليوم من عام 1915 أُعدم جو هيل رمياً بالرصاص في سالت لاك سيتي.

هذا المُحرض الأجنبي الذي بدّل اسمه مرتين وبدل مهنته وعنوانه ألف مرة، اقترف خطيئة الأغنيات التي ترافق المظاهرات العمالية في الولايات المتحدة.

في الليلة الأخيرة، طلب من رفاقه ألا يضيعوا الوقت في البكاء

عليه:

رغبتي الأخيرة سهلة القول،
لأني لم أخلّف ثروة يمكن اقتسامها.
حريتي هي كل ما تبقى.
فالحجر المتدحرج لا تتوالد عليه طحالب.

20 تشرين الثاني

أطفـال يتكلمـون

اليوم هو يوم الطفولة.

أخرج لأمشي وتصادفني طفلة في الثانية من العمر، أو أكثر قليلاً، في تلك السن التي نكون جميعنا فيها وثنيين.

الطفلة تمضي متقافزة، تحيي الخضرة:

- مرحبا يا عشب!

- صباح الخير يا عشب!

تتوقف بعد ذلك لتصغي إلى العصافير المغردة على شجرة. وتصفق لها.

وفي ظهيرة هذا اليوم، يأتيني طفل في الثامنة، وربما في التاسعة من العمر، حاملاً إليّ في بيتي هدية.

إنها محفظة ممتلئة برسوم.

الهدية آتية من إحدى مدارس مونتيفيديو، من حي رابية فيكتوريا. ويقدمها إليّ الفتى موضحاً:

- هذه الرسوم هي نحن.

21 تشرين الثاني

المباراة الأشد حزناً في التاريخ

في 1973 كانت تشيلي بلاداً أسيرة الدكتاتورية العسكرية، وقد تحول الستاد الوطني إلى معسكر اعتقال وحجرة تعذيب.

كان مقرراً أن يتنافس المنتخب التشيلي مع الاتحاد السوفييتي في مباراة حاسمة للتصفية إلى كأس العالم.

صممتْ دكتاتورية بينوشيت على أن تجري المباراة في الستاد الوطني، نعم أو نعم.

السجناء الذين يضمهم الستاد نُقلوا بسرعة، وفحصتْ أعلى سلطات كرة القدم العالمية الملعب، العشب لا تشوبه شائبة، وأعطت مباركتها.

المنتخب السوفييتي رفض اللعب.

حضر ثمانية عشر ألف مشجع دفعوا ثمن تذاكر الدخول وهتفوا للهدف الذي أدخله فرانثيسكو بالديس في المرمى الخاوي.

لقد لعب المنتخب التشيلي ضد لا أحد.

22 تشرين الثاني

يوم الموسيقى

وفق ما يرويه حَفَظَةُ الذاكرة، كانت الشمس في أزمنة أخرى هي سيدة الموسيقى إلى أن سرقتها منها الريح.

منذ ذلك الحين، ومن أجل مواساة الشمس، صارت الطيور تقدم لها كونشيرتو مع بداية ونهاية كل نهار.

ولكن الموسيقى هُزمت. فالمغنون المجنحون لم يتمكنوا من منافسة زمجرة وضجيج المحركات التي تحكم المدن الكبرى. لم يعد يُسمع غناء عصافير «البيتيروخو». ودون طائل تمزق العنادل القليلة المتبقية صدورها كي تُسمع، وجهد الشحارير التزايد من أجل أن يرتفع صوتها أكثر قوض تغريدها.

ولم تعد الإناث تتعرف إلى ذكورها. فأولئك الصادحون البارعون، وذوو الأصوات الجهيرة التي لا تُقاوم يستدعون الإناث، ولكنها لا تميز في الضجيج شيئاً من أي شيء، وينتهي بها المطاف إلى تقبّل غطاء أي جناحين غريبين.

23 تشرين الثاني

جدّ

في هذا اليوم خرجت من المطبعة، في العام 1859، أول نسخة من *أصل الأنواع* لتشارلز داروين.

في المخطوطة الأصلية، كان للكتاب عنوان آخر. كان اسمه: *Zoonomia*، تكريماً لكتاب آخر لجد تشارلز، إراسموس داروين.

كان السيد إراسموس قد أنجب أربعة عشر ابناً وعدة كتب. وقبل حفيده بسبعين عاماً، كان قد انتبه إلى أن كل ما ينبثق من الطبيعة ويسبح أو يمشي أو يطير له أصل مشترك، وأن ذلك الأصل المشترك ليس يد الرب.

24 تشرين الثاني

جـــدة

في العام 1974 ظهرت عظامها في التلال الحصوية في أثيوبيا. مكتشفوها أطلقوا عليها اسم لوكي.

وبفضل التكنولوجيا المتقدمة، تمكنوا من تقدير عمرها، حوالي ثلاثة ملايين ومئة وخمسة وسبعين عاماً، بزيادة يوم أو نقصان يوم، وكذلك طول قامتها: كانت قصيرة، بطول يزيد قليلاً على المتر.

ما سوى ذلك كان استنتاجات، أو ربما تكهنات: كان جسمها مغطى بشعر كثيف، ولم تعد تمشي على أربع قوائم ولكنها تترنح بمشية شمبانزي، وبيدين تكادان أن تلامسا الأرض، وأكثر من الأرض كانت تروقها قمم الأشجار.

ربما تكون قد ماتت غرقاً في نهر.

ربما كانت تهرب من أسد أو مجهول آخر أبدى اهتماماً بها.

وكانت قد ولدت قبل زمن طويل جداً من النار والكلمة، ولكن ربما كانت تتكلم لغة إشارات وصرخات ربما كانت تعني، أو تريد أن تعني، نضع هذا تحسباً:

أشعر بالبرد،

إنني جائعة،

لا تتركوني وحيدة.

25 تشرين الثاني

يوم مناهضة العنف الأسري

في أدغال أعالي نهر بارانا، تنجو أجمل الفراشات باستعراض

نفسها. تفرد أجنحتها السوداء المبهرجة بلطخات حمراء وصفراء، وتتنقل وهي تخفق بأجنحتها من زهرة إلى زهرة بلا أدنى قلق. بعد آلاف وآلاف السنين، عرف أعداؤها أن هذه الفراشات تحتوي سُمّاً. العناكب، الزنابير، السحالي، الذباب، الخفافيش، تنظر إليها من بعيد، وعن مسافة آمان حذرة.

في 25 تشرين الثاني 1960، ثلاث مناضلات ضد دكتاتورية الجنراليسمو تروخييّو جرى تهشيمهن بالهراوى وإلقاء جثثهن في هاوية عميقة في جمهورية الدومينيكان. إنهن الأخوات ميراباڵ. كنّ الأجمل، وكانوا يدعونهنّ *الفراشات*.

في ذكراهن، في ذكرى جمالهن العصي على الأكل، هذا اليوم هو اليوم العالمي لمناهضة العنف الأسري. أي: مناهضة عنف التروخيين الصغار الذين يمارسون الدكتاتورية داخل كل بيت.

26 تشرين الثاني

لورا وبول

عندما قرأ كارل ماركس *الحق في الكسل*، قال:

- *إذا كانت هذه ماركسية، فأنا لستُ ماركسياً*.

لأن مؤلفه بول لافارج يبدو فوضوياً أكثر منه شيوعياً، ويكشف عن ميل مريب إلى الجنون التروبيكالي.

كما أن ذلك الكوبي، ببشرته غير الصافية جداً، لم يَرُقْ له كصهرٍ أيضاً.

- *الحميمية المفرطة ليست واردة* ـ هكذا حذره، كتابةً، مذ بدأ بول

يحقق تقدماً خطيراً في علاقته مع ابنته لورا، وأضاف ماركس بوقار:

- *من واجبي أن أفرض عقلانيتي في مواجهة طبعك الكريولي.*

العقلانية أخفقت.

لورا ماركس وبول لافارج تشاطرا الحياة طوال أكثر من أربعين عاماً.

وفي هذه الليلة من عام 1911، حين لم تعد الحياة حياة، رحلا متعانقين، في سريرهما المعهود، الرحلة الأخيرة.

27 تشرين الثاني

عندما تأججت مياه ريو دي جانييرو

في 1910 انتهى تمرد البحرية البرازيلية.

لقد هدَّد المتمردون مدينة ريو دي جانييرو بطلقات مدفعية تحذيرية:

- *وقف عقوبة الجلد بالسياط، وإلا سندمر المدينة.*

كان الجلد بالسياط على متن السفن الحربية أمراً عادياً، وفي أحيان كثيرة يموت البحارة المعاقَبون.

وبعد خمسة أيام انتصرت حركة التمرد، وأُلقي بالسياط إلى أعماق الماء، وقام منبوذو البحر باستعراض، وهُتف لهم، في شوارع ريو.

بعد زمن من ذلك، جواو كانديدو، ابن العبيد الذي صار أميرالاً بقرار من المتمردين، عاد ليكون جندياً عادياً.

وبعد زمن من ذلك، طُرد من الخدمة.

وبعد زمن من ذلك، اعتُقل وسُجن.

وبعد زمن من ذلك، احتجز في مستشفى للمجانين.

إن له تمثالاً، هذا ما تقوله الأغنية، في أحجار المرافئ الثقيلة.

28 تشرين الثاني

الرجل الذي يُعلِّم ليتعلم

في العام 2009 تقدمت الحكومة البرازيلية باعتذار من باولو فريير. ولكنه لم يتمكن من شكرها على التفاتتها، لأنه كان قد مات منذ اثني عشر عاماً.

لقد كان باولو نبي التعليم المتكافل.

في بداياته كان يعطي دروساً تحت شجرة. وقد محا أُميَّة آلاف وآلاف عمال السكر في بيرنامبوكو، كي يكونوا قادرين على قراءة العالم والمساعدة في تغييره.

زجت به الدكتاتورية العسكرية في السجن، وطردته من البلاد ومنعته من العودة.

وفي المنفى جال باولو على مناطق كثيرة من العالم. وكلما علَّمَ أكثر ازداد تَعَلُّماً.

توجد اليوم ثلاثمئة وأربعون مدرسة برازيلية تحمل اسمه.

29 تشرين الثاني

بطولة العالم في الرعب

في مسألة ازدراء الحياة الإنسانية كان هتلر شخصاً لا يُضاهى. ولكنه وجد منافسين له.

في العام 2010، اعترفت الحكومة الروسية رسمياً بأن ستالين هو صاحب مجزرة أربعة عشر ألف وخمسمئة أسير بولوني في كاتين، وفي خاركيف ومينوج. وقد أعدم البولونيون بطلقة في مؤخرة الرأس في ربيع العام 1940، وكانت الجريمة تنسب دوماً إلى ألمانيا النازية.

في العام 1945، وحين كان انتصار الحلفاء أكثر من جليّ، تعرضت مدينة دريسدن الألمانية ومدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين للتدمير حتى آخر حجر فيها. المصادر الرسمية للدول المنتصرة قالت إنها أهداف عسكرية، ولكن آلاف وآلاف القتلى كانوا جميعهم مدنيين، ولم يظهر بين الأنقاض ولو مجرد مقلاع لصيد العصافير.

30 تشرين الثاني

موعد في الفردوس

في العام 2010 بدأ مؤتمر دولي آخر، المؤتمر رقم ألف وواحد، لحماية البيئة.

وكما هي العادة، أنشد له مدمرو الطبيعة، قصائد حب.

حدث ذلك في كانكون.

أفضل مكان، مستحيل.

للوهلة الأولى، كانكون هي بطاقة بريدية، ولكن قرية الصيادين القديمة هذه تحولت، خلال نصف القرن الأخير، إلى فندق عملاق وبالغ الحداثة يضم ثلاثين ألف غرفة، سَحق على طريق ازدهاره الكثبان الرملية، والبحيرات، والشواطئ البكر، والغابات العذراء وكافة العوائق التي اعترضت بها الطبيعة تطوره الناجح. حتى رمل الشواطئ ضُحي به، وكانكون تشتري الآن رملاً غريباً عنها.

كانون الأول / ديسمبر

1 كانـون الأول

وداعـاً للسـلاح

رئيس كوستاريكا، دون بيبي فيغيريس، قال:

- *الشيء الوحيد السيئ هنا هو كل شيء.*

في العام 1948 ألغى القوات المسلحة.

كثيرون تنبؤوا بأن ذلك سيكون نهاية العالم، أو نهاية كوستاريكا على الأقل.

لكن العالم مازال يدور، وكوستاريكا نجت من الحروب والانقلابات العسكرية.

2 كانـون الأول

يوم مناهضة العبودية

في أواسط القرن التاسع عشر قام جون براون — أبيض، خائن لعرقه، وخائن لطبقته ـ بالسطو على ترسانة عسكرية في فيرجينيا، كي يقدم أسلحة لعبيد المزارع الزنوج.

الكولونيل روبرت لي، قائد الفرقة العسكرية التي حاصرت براون وقبضت عليه، رُفِع إلى رتبة جنرال. وقاد بعد فترة قصيرة الجيش الذي

دافع عن العبودية خلال حرب الجنوب الطويلة ضد شمالي الولايات المتحدة.

الجنرال لي، جنرال النخاسين، مات في فراشه. فقد سُرح من الخدمة بتشريفات عسكرية، وموسيقى حربية، وقذائف مدفعية، وخطابات أشادت بفضائل *عبقري العسكرية الأمريكية العظيم*.

أما براون، صديق العبيد، فقد أُدين لهجومه على ترسانة السلاح بتهم: قتل، تآمر، خيانة الدولة. ومات مشنوقاً عام 1859، في هذا اليوم.

وهذا اليوم، بالمصادفة، هو يوم مناهضة العبودية.

3 كانون الأول

الملك الذي قال يكفي

طوال أربعة قرون، تخصصت أفريقيا السوداء في بيع اللحم البشري. فبحسب التقسيم الدولي للعمل، كان قدرها أن تُنتج عبيداً للسوق العالمية.

في 1720، رفض ملكٌ ذلك.

آغاجا ترودو، ملك داهومي، أحرق الحصون الأوروبية وخرّب سفن العبيد.

تحمّل طوال عشر سنوات مضايقات تجار العبيد وهجمات الممالك المجاورة.

لم يستطع تحمل المزيد.

كانت أوروبا ترفض بيعه أسلحة ما لم يدفع الثمن لحماً بشرياً.

4 كانـون الأول

ذاكرة خضـراء

الأشجار، مثلنا، تتذكر.

ولكنها لا تنسى: تشكّل حلقات في جذعها، وفي حلقة بعـد حلقـة تحفظ ذاكرتها.

الحلقات تروي تاريخ كل شـجرة وتكشـف عمرهـا، وهـو يصـل في بعـض الحـالات إلى ألفـي عـام. وتـروي أي مناخـات عرفتهـا، وأي فيضانات وجفاف عانته، وتحتفظ بآثار الحرائـق، والأوبئـة، والهـزات الأرضية التي هاجمتها.

في يوم مثل هذا اليوم تلقى دارس للموضوع، يدعى خوسيه آرماندو بونينسيغنا، من أطفال مدرسة أرجنتينية أفضل تفسير ممكن:

- الأشجار الصغيرة تذهب إلى المدرسة وتتعلم الكتابة. أين تكتـب؟ في كرشها. وكيف تكتب؟ بحلقات. وهذه الحلقات يمكن قراءتها.

5 كانـون الأول

إرادة الجمال

أفتى رئيس الجمعية الإسبانية للتاريخ الطبيعي، عام 1886، بـأن رسوم مغارة ألتاميرا لا ترجع إلى آلاف السنين.

- إنها أعمال تلميذ متوسط الموهبة لدرسة الحداثـة الحاليـة ـــ أكد، مؤكداً شكوك جميع الخبراء تقريباً.

بعد عشرين عاماً من ذلك اضطر أولئك الخبراء إلى الاعتراف بأنهم كانوا مخطئين. وهكذا ثبت أن إرادة الجمال، كما الجوع،وكما الشهوة،

قد رافقت المغامرة الإنسانية في العالم منذ الأزل.

قبل زمن طويل من هذا الذي نسميه حضارة، كنا قد حوّلنا عظام الطيور إلى نايات، وكنا قد ثقبنا القواقع لنصنع عقوداً، وكنا قد أبدعنا ألواناً بخلط تراب ودم ومسحوق أحجار وعصارة نباتات، من أجل تزيين كهوفنا ومن أجل أن يكون كل جسد من أجسادنا لوحة مشاءة.

عندما وصل الفاتحون الإسبان إلى فنزويلا، وجدوا أن هنود الهواستيكو يمضون عراة تماماً، هم وهنَّ، وبأجساد ملونة بأصباغ من أجل الإعجاب الذاتي واجتذاب الإعجاب:

- *هؤلاء هم الأسوأ* ـ حكم عليهم الفاتح الإسباني برنال دياث دل كاستييّو.

6 كانون الأول

درس في المسرح

في هذا اليوم من العام 1938، قامت لجنة النشاطات المعادية لأمريكا التي كانت تعمل في واشنطن باستجواب هيلي فلانغَس.

وكانت هيلي تدير مسارح عامة.

جو ستارنس، النائب عن ولاية ألاباما، تولى مسؤولية استجوابها.

وحول مقال كتبته هيلي، سألها:

- *أنت تستشهدين باقتباس من المدعو مارلو. هل هو شيوعي؟*

- *المعذرة، ولكنه استشهاد من كلام لكريستوفر مارلو.*

- *أخبريني من يكون، كي تتشكّل لدي مرجعية دقيقة.*

- *لقد كان أعظم مسرحي إنكليزي في المرحلة السابقة لشكسبير.*

- أجل، بالطبع، فحتى في المسرح الإغريقي نجد أناساً من هؤلاء الذين يسميهم البعض شيوعيين.

- صحيح جداً.

- أظن أن السيد يوربيدس نفسه كان مذنباً في تعليم الوعي الطبقي، أليس كذلك؟

- يبدو لي أن جميع المسرحيين الإغريق كانوا مذنبين.

- وبهذا لا يمكننا أن نحدد متى بدأ هذا الأمر ــ تنهد النائب ستارنس.

7 كانون الأول

ليس للفن عمر

في العام 1633، بزيادة يوم أو نقصان يوم، ولد غريغوريو دي ماتوس، أفضل شاعر عرف كيف يسخر من البرازيل الاستعمارية.

في العام 1969، في أوج الدكتاتورية العسكرية، ندد قائد المنطقة العسكرية السادسة بقصائده *الهدامة*، والتي كانت تنام في إغفاءة العادلين منذ ثلاثة قرون في مكتبة أمانة الثقافة بمدينة سان سلفادور دي باهيا، وألقى بها إلى المحرقة.

وفي عام 1984، في بلد مجاور، حظرت دكتاتورية أروغواي العسكرية عملاً مسرحياً كان سيبدأ مسرح أرليكين بعرضه، *لأنه عمل هجائي ضد النظام، والانضباط، والجندي، والقانون*. العمل المسرحي المذكور، *الطرواديات*، كان قد كتبه يوربيديس قبل أربعة وعشرين قرناً.

8 كانون الأول

فن الخلايا العصبية

في العام 1906 تلقى سنتياغو رامون آي كاخال جائزة نوبل في الطب.

أراد أن يكون رساماً.

لم يسمح له أبوه بذلك، ولم يجد مفراً من التحول إلى أن يكون أهم عالم إسباني في كل الأزمنة.

توصل وهو يرسم إلى ما اكتشفه. رسومه للدماغ تنافس لوحات، أعمال ميرو وكلي.

- *حديقة الخلايا العصبية تقدم مؤثرات فنية لا تُقارن* ـــ هذا ما اعتاد قوله.

كان يستمتع بارتياد أسرار الجملة العصبية، ولكنه يستمتع أكثر برسمها.

وأكثر من ذلك، أكثر بكثير، كان يستمتع بأن يقول بصوت عالٍ ما يفكر فيه، وهو يَعْلَم أن ذلك سيمنحه أعداء أكثر من الأصدقاء.

- كان يسأل متفاجئاً أحياناً:

- *أليس لك أعداء؟ كيف ذلك؟ ألم تقل الحقيقة، ولم تحب العدالة قطّ؟*

9 كانون الأول

فن الحياة

في العام 1986، ذهبت جائزة نوبل بالطب إلى ريتا ليفي مونتالشيني.

في الأزمنة الصعبة، خلال دكتاتورية موسوليني، درست ريتا الألياف العصبية، خفية، في مخبر مرتجل في أحد أركان بيتها.

بعد سنوات من ذلك، وبعد عمل كثير، اكتشفت تحريّةُ أسرار الحياة العنيدة تلك البروتين المسؤول عن تكاثر الخلايا البشرية، وتلقت جائزة نوبل.

كانت تقترب من الثمانين، وقد قالت:

- ***جسدي يتجعد، أما الدماغ فلا. عندما لا أعود قادرة على التفكير، لا أريد إلا أن تساعدوني على الموت بكرامة.***

10 كانون الأول

حرب مباركة

في العام 2009، وفي يوم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، تلقى الرئيس باراك أوباما جائزة نوبل للسلام.

في خطاب تقديمه الشكر، لم يخطر للرئيس ما هو أفضل من تكريم الحرب: ***الحرب العادلة والضرورية ضد الشر.***

قبل أربعة قرون ونصف قرن، عندما لم تكن جائزة نوبل موجودة، ولم يكن الشر يكمن في الأراضي التي تضم بترولاً وإنما في تلك التي تَعِدُ بالذهب والفضة، قدّم الحقوقي الإسباني، خوان خينس دي سيبولبيدا، أيضاً تعريفه ***للحرب العادلة والضرورية ضد الشر.***

في ذلك العصر، أوضح خينس أن الحرب ضد الهنود في أمريكا ضرورية، ***باعتبار البشر البرابرة عبيداً بالطبيعة، وجهلة وغير***

إنسانيين، والحرب عادلة لأنه من العدل، بفعل الحق الطبيعي، أن ينصاع الجسد للروح، والرغبة للعقل، والبهائم للإنسان، والمرأة للزوج، والنقص للكمال، والأسوأ للأفضل، من أجل خير الجميع.

11 كانون الأول

الشاعر الذي كان حشداً

الاعتقاد الشائع أن فرناندو بيسوا، شاعر البرتغال، كان يحمل في داخله خمسة أو ستة شعراء.

في أواخر العام 2010، أنهى الكاتب البرازيلي جوزيه باولو كافالكانتي أبحاثه التي استمرت لسنوات حول *من حلم في أن يكون كثيرين.*

اكتشف كافالكانتي أن بيسوا لم يكن يتضمن خمسة، ولا ستة: كان يضم مئة وسبعة وعشرين نزيلاً في جسده النحيل، وكل منهم باسمه، وأسلوبه، وسيرته، وتاريخ ميلاده وبرجه.

نزلاؤه المئة والسبعة والعشرون وقعوا بأسمائهم قصائد، ومقالات، ورسائل، وأبحاثاً، وكتباً...

بعضهم نشروا كتابات نقدية مسمومة ضده، ولكن بيسوا لم يطرد قط أياً منهم، على الرغم من أنه كان من الصعب جداً، كما أفترض، إقامة أود مثل تلك الأسرة كبيرة العدد.

12 كانون الأول

تونانتزين تسمى غوادالوبي

بعد زمن طويل من إنجابها يسوع، سافرت مريم العذراء إلى المكسيك.

وصلت إليها في العام 1531. وقدمت نفسها باسم عذارء غوادالوبي، وبمصادفة سعيدة جاءت الزيارة بالضبط في المكان الذي يوجد فيه معبد تونانتزين، الربة الأمّ لدى الأزتيك.

تحولت عذراء غوادالوبي، منذ ذلك الحين، لتكون رمز تجسيد الأمة المكسيكية: تونانتزين تعيش في العذراء، والمكسيك ويسوع لهما الأم نفسها.

في المكسيك، كما في سائر أرجاء أمريكا، الآلهة المحظورون اندسوا في رموز الألوهة الكاثوليكية، عن طريق الهواء، وهم يقيمون في أبداننا.

تلالوك يُنزل المطر في القديس يوحنا المعمدان، وفي القديس إيسيدور الفلاح يُزهر شوتشيبيبيًا.

الرب الأب هو الأب شمس.

تيزكاتليبوكا، يسوع المصلوب، يشير من الصليب إلى الجهات الأربع التي تهب منها رياح عالم السكان الأصليين.

13 كانون الأول

يوم الغناء الكورالي

في العام 1589 قرر البابا سيكستو الخامس أن يغني الخصيان في كنيسة القديس بطرس.

وكي يكون المغنون مغنيات، سوبرانو قادرين على أداء ترنيمات حادة وحلقية دون انقطاعات، كانوا يقطعون خصاهم.

طوال أكثر من ثلاثة قرون، كان الخصيان يحتلون مكان النساء في كورال الكنائس: لقد كانت محظورة أصوات الخاطئات من بنات حواء اللاتي يلطخن قداسة المعابد.

14 كانون الأول

الراهب الذي هرب سبع مرات

في العام 1794، وقّع مطران المكسيك، ألونسو نونيث دي هارو، حكم الإدانة الأبدي على الراهب سيرفاندو تيريسا دي ميير.

في ذكرى زيارة مريم العذراء للأراضي المكسيكية، ألقى الراهب سيرفاندو موعظة، بحضور نائب الملك والمطران وأعضاء المجمع الملكي.

كانت قذيفة مدفع أكثر مما هي موعظة. فقد تجرأ الراهب سيرفاندو على التأكيد أنه ليس مصادفة ولا توافقاً عبثياً أن تكون مريم العذراء هي الربة الأزتيكية تونانتزين، وأن يكون توما الرسول هو كيتزالكواتل، الأفعى المجنحة التي يعبدها الهنود.

ولارتكابه ذلك التجديف الفاضح، جُرد الراهب سيرفاندو من لقبه كدكتور في الفلسفة ومُنع، بصورة أبدية، من التدريس، وتلقي الاعترافات، وإلقاء المواعظ وحُكم عليه بالنفي إلى إسبانيا.

منذ ذلك الحين سُجن سبع مرات وهرب من السجن سبع مرات، حارب من أجل الاستقلال المكسيكي، كتب أقسى الافتراءات وأشدها

سخرية ضد الإسبان وكتب كذلك أبحاثاً جدية حول مشروع جمهورية حرة من القيود الاستعمارية والعسكرية، وكان يقترحها للأمة الكسيكية عندما تصبح سيدة نفسها.

15 كانون الأول

رجل أخضر

كان يمكن لهذا اليوم أن يكون يوم عيد ميلاد تشيكو مينديس.

كان يمكن له أن يكون.

ولكن قتلة الأمازون يقتلون الأشجار المزعجة، ويقتلون الناس المزعجين أيضاً.

الناس الذين مثل تشيكو مينديس.

أبواه، عبيد بسبب الشكوك، وصلا إلى مزارع المطاط آتيين من صحراء سيارا البعيدة.

وتعلم هو القراءة في الرابعة والعشرين من عمره.

نظم في الأمازون نقابات وجمع شمل الوحيدين، عمال مستعبدين، هنود مطرودين من أرضهم، ضد ملتهمي الأراضي وقتلتهم المأجورين، وضد خبراء البنك الدولي الذين يمولون تسميم الأنهار وقصف الأدغال.

وقد وُسِم بعلامة الموت.

دخلت إليه الرصاصات من النافذة.

16 كانـون الأول

كافح الفقر:
جمَلِ الأرقام

خلال حوالي أربع سنوات، وسائل التضليل الإعلامي الكبرى احتفلت، بأبواق وطبول، بانتصار الحرب على الفقر. سنة بعد سنة يُدحر الفقر متراجعاً.

هكذا كانت الحال حتى هذا اليوم من عام 2007. عندئذ قام البنك الدولي، بالتعاون مع صندوق النقد الدولي وبعض هيئات الأمم المتحدة، بتحديث لوائح القوة الشرائية لسكان العالم. ففي تقرير لبرنامج المقارنة الدولي عرف انتشاراً محدوداً أو معدوماً، صوب الخبراء بعض معطيات القياسات السابقة. واكتشفوا، بين أخطاء صغيرة أخرى، أن عدد الفقراء قد زاد خمسين مليوناً عما سُجّل في الإحصائيات الدولية.

هم، أعني الفقراء، يعرفون ذلك.

17 كانـون الأول

الشـعلة

في صباح هذا اليوم من العام 2010، كان محمد بوعزيزي، كما في كل يوم، يجر عربة فاكهته وخضاره في مكان ما من تونس.

وكما في كل يوم، جاء الشرطيون ليتقاضي رسوم اخترعوها هم أنفسهم.

ولكن محمد لم يدفع في هذا الصباح.

ضربه الشرطيون، قلبوا عربته وداسوا فاكهته وخضاره المبعثرة على الأرض.

عندئذ بلل محمد جسده بالبنزين، من الرأس حتى القدمين، وأشعل النار بنفسه.

هذه النار الصغيرة التي لا تتجاوز طول قامة أي بائع جوال، صارت خلال أيام قليلة بحجم العالم العربي بأسره، المشتعل بأناس ملّوا من كونهم لا شيء.

18 كانون الأول

يوم الهجرة

آدم وحواء كانا أول المنفيين، أول من حُكم عليهما بالهجرة في تاريخ البشرية.

حسب الرواية الرسمية، تعرض آدم لإغواء حواء: هي من قدّمت إليه الثمرة المحرمة، وبسبب حواء طُردا من الفردوس.

ولكن... هل كان الأمر على هذا النحو حقاً؟ أم إن آدم فعل ما فعله لأنه أراد فعله؟

ربما لم تقدّم له حواء أي شيء، ولم تطلب منه شيئاً.

ربما قرر آدم قضم الثمرة المحرمة حين علم أن حواء قد عضّتها.

ربما تكون هي قد فقدت امتياز الخلود، واختار آدم أن يشاطرها عقوبتها.

فصار بشراً فانياً، ولكنه فان لديه من ترافقه.

19 كانـون الأول

منفيـة أخـرى

في أواخر العام 1919، غادر مئتان وخمسون *أجنبياً غير مرغوب فيهم* من ميناء نيويورك مع منعهم من العودة إلى الولايات المتحدة.

وخرجت بينهم إلى المنفى إيما غولدمان، *أجنبيـة شـديدة الخطـورة*، سُجنت عدة مرات لمعارضتها الخدمة العسكرية الإجبارية، ولتوزيعها وسائل لمنع الحمل، وتنظيمها إضرابات، ولاعتداءات أخرى على الأمن الوطني.

بعض عبارات إيما:

الدعارة هي أسمى انتصار للتزمت.

هل هنالك يا ترى ما هو أشد رهبة، وأكثر إجراماً، من وظيفتنا الأمومية المجيدة والمقدسة؟

ملكوت السماء يجب أن يكون مكاناً مملاً بصورة فظيعة إذا كان فقراء الروح يعيشون هناك.

إذا كان التصويت يغير شيئاً، فهو غير شرعي

كل مجتمع له مجرموه الذين يستحقهم.

الحروب جميعها هي حروب بين لصوص جبناء جداً لا يصلحون للقتال، فيرسلون آخرين ليموتوا بدلاً منهم.

20 كانـون الأول

اللقـــاء

كان الباب مغلقاً:

– *من الطارق؟*

– *إنني أنا.*

- لا أعرفك.

وظل الباب مغلقاً.

في اليوم التالي:

- من الطارق؟

- إنني أنا.

- لا أعرف من أنت.

وظل الباب مغلقاً.

وفي اليوم التالي:

- من الطارق؟

- إنني أنا.

وانفتح الباب.

(للشاعر الفارسي فريد الدين العطار الذي ولد عام 1119، في مدينة نيسابور)

21 كانون الأول

سعادة القول

يمكن لهذا اليوم أن يكون أي يوم آخر.

فالأيام عن أنخيدوانا ليست معروفة.

ولكن يُعرف أنه منذ أربعة آلاف وثلاثمئة عام، عاشت أنخيدوانا في المملكة التي اختُرعت فيها الكتابة، وصارت تسمى اليوم العراق.

وكانت أول كاتبة، أول امرأة وقّعت على كلماتها.

وكانت كذلك أول امرأة أصدرت قوانين،

وكانت فلكية، وتعرف بالنجوم،
وعانت ألم المنفى،
وبينما هي تكتب غنّت للربة إنانا، القمر، حاميتها، واحتفت بسعادة الكتابة التي هي عيد،
مثل الولادة
الإنجاب،
الحبل بالعالم

22 كانون الأول

سعادة الطيران

هنالك من يؤكدون أنّ الأخوين رايت هما مخترعا الطائرة، في مثل هذه الأيام الأخيرة من العام 1904، لكن آخرين يؤكدون أن سانتوس دومونت، بعد سنتين من ذلك، هو من اخترع الآلة الأولى الجديرة بهذا الاسم.

الشيء الوحيد المؤكد بصورة يقينية كاملة هو أنه قبل ثلاثمئة وخمسين مليون عام، برزت جوينحات لأجساد اليعاسيب، الجوينحات تحولت إلى أجنحة واصلت النمو على امتداد بضعة ملايين عام، لمجرد الرغبة في الرحيل.

اليعاسب هي أول المسافرين جواً.

23 كانون الأول

انبعاث

في العام 1773 اهتزت الأرض من الجوع والتهمت المدينة المسماة الآن أنتغوا، وكانت طوال أكثر من قرنين مملكة في غواتيمالا ومناطق أخرى.

ولكن في الأعياد الدينية، تنتصب أنتغوا من بين الأنقاض. شوارعها سجاجيد أزهار، أزهار ترسم شموساً وفاكهة وطيوراً كثيرة الريش، وعندئذ لا يُعرف إن كانت الأقدام التي تمشي تحتفل باقتراب ميلاد يسوع أم بانبعاث المدينة.

الجيران نسجوا، بأيد صبورة، بتلة فبتلة، وورقة فورقة، تلك الحدائق الشوارعية، كي تكون أنتغوا خالدة طوال استمرار العيد.

24 كانون الأول

معجزة

في ليلة عيد الميلاد عام 1991، مات الاتحاد السوفييتي وفي مذوده ولدت الرأسمالية الروسية.

الديانة الجديدة حققت المعجزة. من شهدوا الرؤيا هناك: موظفون تحولوا إلى رجال أعمال، وقادة من الحزب الشيوعي تحولوا عن ديانتهم وانتقلوا إلى أثرياء جدد فاخرين، وضعوا راية مزاد تصفية للدولة واشتروا بسعر موزة كل ما يمكن شراؤه في بلادهم وفي العالم.

لم تنج حتى نوادي كرة القدم.

25 كانون الأول

الرحلة إلى الشمس

لم يكن بإمكان يسوع الاحتفال بعيد ميلاده، لأنه لم يكن له يوم ميلاد.

في العام 354، قرر مسيحيو روما أنه قد ولد في 25 كانون الأول.

هذا اليوم، كان وثنيو شمالي العالم يحتفلون فيه بنهاية أطول ليلة في السنة وبمجيء إله الشمس الذي يأتي ليمزق الظلمات.

إله الشمس وصل إلى روما عن طريق بلاد فارس.

كان اسمه ميترا.

وتحول اسمه إلى يسوع.

26 كانون الأول

الرحلة إلى البحر

في الأيام التي انقضت، كان أبناء الشمس وبنات القمر يعيشون معاً في مملكة داهومي الأفريقية.

كانوا يعيشون معاً متعانقين، متحابين، إلى أن أبعدتهم الآلهة وحكمت عليهم بالتباعد.

منذ ذلك الحين صار أبناء الشمس أسماك البحر وبنات القمر نجوم الليل.

نجوم البحر لا تسقط من السماء: إنها تسافر من السماء، وتبحث في البحر عن عاشقيها الضائعين.

27 كانـون الأول

الرحــالة

ولد ماتسو باشو منذوراً لأن يكون ساموراي، ولكنه رفض الحرب وصار شاعراً، صار شاعراً جوالاً.

بعد شهر من وفاته، في العام 1694، صارت دروب اليابان تفتقد خطوات صندله المجدول من القش والكلمات التي كان يتركها معلقة في السقوف التي تمنحه مأوى. مثل هذه:

الأيام والشهور رحالة أبديون.

هكذا تمضي السنون.

يرتحلون كل دقيقة من أيامهم من يمخرون

البحر أو يمتطون اليابسة،

إلى أن يُهزموا تحت وطأة الزمن.

مسنون كثر يموتون في الرحلة.

أنا أنصحتُ فقط لإغواء الغيوم، متشردات السماء.

28 كانـون الأول

حنيـن إلى المستقبل

أوسكار نيماير دخل في العام 2007 عامه المئة من العمر وثمانية أعمال جديدة قيد التنفيذ.

المهندس المعماري الأكثر نشاطاً بين جميع المعماريين لا يكلّ، مشروعاً إثر مشروع، من تحويل منظر العالم.

عيناه الهرمتان لا تصعدان إلى السماء العالية التي تُذِلُنا، ولكنهما جديدتان دوماً من أجل البقاء، تتأملان بإعجاب إبحار السُحب التي

كانت مصدر إلهامه في إبداعاته الجديدة.

وهناك، في الغمام، يكتشف كاتدرائيات، حدائق أزهار غير معقوله، مسوخاً، خيولاً تندفع خبباً، طيوراً كثيرة الأجنحة، بحاراً تنفجر، زبداً يطير، ونساء يتموجن وفي الريح يقدمنّ أنفسهن ويمضين مع الريح.

في كل مرة يُدخله فيها الأطباء إلى المستشفى، معتقدين أن ساعته قد أزفت، يقتل أوسكار الضجر بنظم أغنيات سامبا يغنيها مع المرضى الآخرين.

وهكذا فإن صياد الغيوم هذا، مطارد الجمال المتهرب، خلّف وراءه قرنه الأول في الحياة، وواصل قُدماً.

29 كانون الأول

الطريق هو الوجهة

كانت حفلة الشرب غزيرة، لقول وداعاً للعام الذي سينتهي عما قريب، وكنت أمضي تائهاً في شوارع قادس.

سألتُ كيف يمكن الذهاب إلى السوق. أبعد رجلٌ عجوز ظهره عن الجدار وأوصاني بقرف شديد وهو يشير إلى لا شيء:

- *افعل ما يقوله لك الشارع.*

قال لي الشارع، ووصلت.

قبل بضعة ملايين من السنين، أبحر نوح بلا بوصلة ولا أشرعة ولا دفة.

الفلك مضى على هواه، حيث قالت له الريح، ونجا من الطوفان.

30 كانـون الأول

من موسيقى نحـن

عندما أصبح السمع

أسمع موسيقى آتية من بعيد،

من الماضي،

من أزمنة أخرى،

من حيوات لم تعد موجودة

ربما حيواتنا

مصاغة من موسيقى.

في يوم الانبعاث

ستتفتح عيناي من جديد في إشبيلية.

(عن أبي عبد الله، آخر ملوك إسبانيا المسلمة)

31 كانـون الأول

رحلـة الكلمـة

في العام 2008، كتب سيرينوس سامونيكوس في روما كتاباً، **شؤون سرية**، يميط فيه اللثام عن اكتشافاته في فن الشفاء.

هذا الطبيب الخاص لإمبراطورين، والشاعر، وصاحب أفضل مكتبة في عصره، يقترح بين وصفات علاج أخرى، منهجاً لا يخطئ لتجنب الإصابة بالحمى الثلاثية وإبعاد الموت: يجب أن تُعلق على الصدر كلمة لحماية النفس بها ليلاً ونهاراً.

إنها كلمة *أبراكادابرا*، وهي تعني بالعبرية القديمة، ومازالت تعني:
أرسل نارك حتى النهاية.

هل تعلم...

... أن أحد أكثر الأحداث الدينية تداولاً هو قضم آدم وحواء التفاحة، ولكنه غير موجود في الكتاب المقدس.

... وأن الإغريقي اراتوستينس قد حسب مقاس خصر العالم منذ ألفين وثلاثمئة عام، وأنه أخطأ بتسعين كيلومتراً فقط.

... وأن أرسطو كتب عن المرأة بأنها «رجل غير مكتمل». والقديس توما الاكويني قال إنها «خطأ من الطبيعة».

... وأنه حتى العام ١٩٩٠، كان الشذوذ الجنسي يُعتبر مرضاً عقلياً حسب منظمة الصحة العالمية.

... وأن من حضروا جنازة كارل ماركس كانوا أحد عشر شخصاً، بمن فيهم موظف الدفن.

... وأن نيلسون مانديلا ظل حتى العام ٢٠٠٨ ضمن قائمة الإرهابيين الخطرين على أمن الولايات المتحدة الأمريكية.

... وأنهم في هايتي، وفق تقليد قديم، يمضون في الموكب الجنائزي حاملين النعش في حركة متعرجة وبكثير من اللف والدوران، من أجل تضليل المتوفى بحيث لا يتمكن من العثور على طريق العودة إلى البيت.

... وأن لغة تموت في العالم كل أسبوعين.

